جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

التناص
في
شعر النابغة الذبياني

الدكتور
عثمان خالد محمد الطاهات
جامعة سلمان بن عبد العزيز
كلية التربية ـ الخرج

العدد الثامن عشر
للعام ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م
الجزء الثانى

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٤م
الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

مقدمة

يعد التناص من النظريات النقدية الحديثة التي دخلت النقد العربي في العصر الحديث. وقد أفاد منها كثير من المناهج النقدية الحديثة، كالشعرية الغربية والسيميائية.

وتؤكد الكثير من الدراسات النقدية أن كرستيفا هي أول من طرح هذا المفهوم ونظّر له، مستفيدة من مفهوم الحوارية عند باختين، ويدل على ذلك اعتبارها:" النصّ جهازاً فوق لساني يعيد توزيع نظام اللغة،على أنه يتحدّد عن طريق تبادل النصوص، أي بالتناص"(١).

وترى كر ستيفا أن التناص:" قانون جوهريّ: إذ هي نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص عدد من النصوص، وفي الوقت نفسه فهي هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصيّا؛ أي أنها ترابطات متناظرة تأخذ الطابع الخطابيّ (٢). ويبين رولان بارت:" إن كل نص يولد ما هو إلا بناء جديد مستخلص من النصوص المتقدمة عليه"(٣).

وقد تأثرت الدراسات النقدية في العالم العربي بهذا المفهوم، وطبقه عدد من الباحثين على بعض الأعمال الأدبية في الوطن العربي، وألفوا العديد من الكتب النقدية التي بنيت على مفهوم التناص.

وعرف محمد مفتاح التناصّ، بقوله:" التناص هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"(٤).وقد أضاف محمد بنيس مصطلحا جديدا لمفهوم التناص هو(النص الغائب)، ويشير هذا المفهوم إلى أن ثمة نصوصا أخرى

---

(١) انظر، تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السيميائيات، يوسف أحمد، مجلة نزوى، البحرين،العدد١٢،عام١٩٩٧، ص٤٤.

(٢) انظر: علم النص، جوليا كرستيفا، ، ترجمة فريد الزاهي ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ط٢، ١٩٩٧م، ص:٧٨.

(٣) طروس الأدب على الأدب، ضمن كتاب: آفاق تناصية، المفهوم والتطور، جيرار جينيت ، ترجمة: محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ص:٤٢.

(٤) تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، محمدمفتاح، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٨٦م ، ص: ١٢١.

شكلت نسيج النص الجديد، يمكن للمتلقي الكشف عنها ومعرفة مضانها الأصلية(٥).

ويتداخل مفهوم التناص مع مفاهيم النقد العربي القديم، ويعد عبد الله الغذامي في كتابه(الخطيئة والتكفير)؛ أول من قارب بين مفهوم التناص، والمفاهيم النقدية في النقد العربي القديم، كمفهوم(الأخذ) عند عبد القاهر الجرجانيوتشابهه مع التناص، غير أن التناص من وجهة نظر الغذامي مصطلح سيمولوجي تشريحي(٦)؛ إذ يرى أن الفهم العميقلمصطلح التناص يكمن في وظيفته الإبداعية؛ وأن انفتاح النصوص على التاريخ يعطينا تصورًا لكثير من الدلالات. وقد قدم العديد من الترجمات لمصطلح التناص؛ ، مثل: (النصوصية)، و(النصوص المتداخلة)، و(تداخل النصوص) (٧).

ويذكر جرار جنيت خمسة أنماط للتعددية النصية، وهي:

- البينوصية (التناص) : وتعني الحضور المشترك بين نص ونصوص أخرى بطريقة الاستحضار؛ إذ يشعر القارئ بوجود علاقات بين النص الحاضر والنصوص الأخرى، قد تكون جلبت بطريقة الاقتباس أو غيرها.
- النصوصية المرادفة: وتعني ارتباط النص بملحقاته، كالعنوان والمقدمة والهوامش في أسفل الصفحة.
- ما وراء النصية: وتعني مايربط النص بنص آخر دون ذكر اسمه.
- النصوصية الجامعية: والمقصود بها العلاقة الأكثر تجريدية وضمنية التي تستند إلى الخصائص المميزة للنص وطبيعته كالإعلان عن جنسه الأدبي: مقالة، رواية، قصة، قصيدة...

---

(٥) انظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكونية،محمد بنيس، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، ص: ٢٥١.

(٦) انظر: تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، عبد الله الغذّامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص: ٧٢ ــ ٧٣.

(٧) الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، عبدالله الغذّامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، القاهرة، ١٩٩٨م، ص:٣٢٠ ــ ٣٢١.

- النصية الاتساعية: ويراد بها كل علاقة توحد نصًا (B) بنص سابق(A)[٨].

ويسهم التناص في الكشف عن النصوص الأصلية التي استند إليها النص الحاضر، أو معرفة صاحب النص الأول الذي اتكأت عليه النصوص الأخرى الصادرة، حتى لا تكون النصوص الأدبية مجرد قطع من الفسيفساء تتحاور فيما بينها[٩]. والنظر الإيجابي إلى هذه الظاهرة على أنها ظاهرة تأثر وتأثير لا ظاهرة أخذ وسرقة كما هو عند القدماء[١٠].

وبالتناص يستطيع الناقد استحضار النصوص القديمة لإبراز أهميتها وقيمتها الفنية والتاريخية[١١].

وتكمن أهمية التناص أيضا في (عدم استقلالية النص)، وأنه يستند إلىنصوص غائبة ويسهم في دراستها وتحليلها وبيان القيم التي تضمنتها[١٢]. فضلا عن إسهامه في إدراك إنتاجية النصوص.

ونظرا لأهمية التناص في الدراسات الأدبية ووظيفتها في الكشف عن النصوص الغائبة في عمل أي أديب، وأن أي نص لا يولد من فراغ، بل لا بد من نصوص أخرى سابقة عليه أسهمت في تشكيله، فقد ارتأيت تطبيق هذا المفهوم على ديوان النابغة الذبياني؛ لما يمثله شعره من نضج فني في بناء القصيدة الجاهلية فضلا عما أضافه من مضامين جديدة في موضوعات الشعر العربي

---

(٨) طروس الأدب على الأدب، ضمن كتاب: آفاق تناصية، المفهوم والتطور، جيرار جينيت، ، ص: ١٣٢ ــ ١٣٩.

(٩) انظر: التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجًا، سعيد سلاّم، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠م، ص: ١٣٧.

(١٠) انظر: السرقات الأدبية: دراسة في ابتكار الأعمال الادبية وتقليدها، بدوي طبانة، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٧٤م، ص٦٥. حسن الأخذ والتناص بين القديم والحديث، دراسة تطبيقية عن أشكال التفاعلات النصية في رواية شجيرة حناء وقمر، و عبد الله آيت الأعشير، مجلة عالم الفكر، العدد ٣ ، المجلد ٣١، يناير– مارس، ٢٠٠٣م، ص: ٢٢٢.

(١١) انظر: التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجًا، سعيد سلاّم، ، ص: ١٣٧ .

(١٢) التناص وإشاريات العمل الأدبي، صبري حافظ، ، مجلة عيون المقالات، المغرب، ع٢، ١٩٨٦، ص: ٩٣.

القديم، كاعتذارياته إلى النعمان والتي مثلت فتحا جديدا في القصيدة الجاهلية لم نجده عند من سبقوه من الشعراء.

وقد تضمنت قصائده العديد من الإشارات الأدبية والتاريخية والدينية والأسطورية فضلا عن تأثره أسلوبيا مع غيره من الشعراءوتقاطع نصوصه مع نصوصهم.

وقد جعلت هذا البحث في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، تناولت المقدمة دراسة نظرية للتناص ونشأته وأبرز الذين نظروا له، وجاء المبحث الأول للحديث عن التناص الأدبي في شعر النابغة، وأما المبحث الثاني فقد عرض للتناص التاريخي عنده ، على حين خصص المبحث الثالث للحديث عن التناص الديني، وفي المبحث الرابع تناولت التناص الأسطوري، وفي المبحث الخامس ناقش البحث التناص الثقافي، وجاء المبحث السادس للحديث عن التناص الأسلوبي، وأما الخاتمة فقد تضمنت أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث.

المبحث الاول
التناص الأدبي

يتناول هذا المبحث ما تناص به النابغة مع التراث الأدبي من الأمثال والحكم التي جاءت على ألسنة من سبقوه من أهل الخبرة والتجربة، تلك الأمثال والحكم التي تعد جزءا من الموروث الجمعي الذي تحتفظ به الثقافة العربية إلى يومنا هذا. ومما تناص به:

أولا- في الأمثال:

- **قوله[١٣]:**

كأنك من جِمال بني أُقَيشٍ ∴ يقعقَعُ خلفَ رجليْه بشَنِّ

فقد تناص في هذا البيت مع المثل القائل:" مَا يُقَعْقَعُ لَهُ بِالشِّنَانِ"[١٤] .

ويضرب هذا المثل لمن لاَ يَتضع لما ينزل به حوادث الدهر، ولاَ يروعه ما لاَ حقيقة له[١٥].وقد وظف هذا المثل في معرض هجائه لعيينة بن حصن الفزاري – وهو من ذبيان_؛ ليبين مدى جبنه وفزعه من بني عبس، وكأنه جمل من جمال بني أقيش التي كان يضرب بها المثل في الخفة والنفور من كل شيء، محذرا إياه من إلحاق الأذى ببني أسد على إثر ثأر كان بين بني عبس وبني أسد.

- **وقوله[١٦]:**

أثرتَ الغيّ ، ثمّ نزعتَ عنهُ ∴ كمَا حادَ الأزَبُّ عن الظِّعانِ

إذ تناص به مع المثل القائل: " كلُّ أَزَبَّ نَفُورٌ "[١٧] .

---

(١٣) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، القاهرة ، ط٢ ، د.ت، ص ١٢٦.

(١٤) مجمع الأمثال، أبوالفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة،بيروت د.ت، ٢٦١/٢.

(١٥) مجمع الأمثال، أبوالفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق : محمد محيى الدين عبدالحميد، دار المعرفة،بيروت د.ت، ٢٦١/٢.

(١٦) ديوان النابغة ، ص١١٢ .

(١٧) مجمع الأمثال،الميداني، ١٣٣/٢.

ويضْرب مثلا للرجل الجبان الذي ينفر من كل شيء[١٨].

وقد وظف النابغة هذا المثل في معرض هجائه ليزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي، فقد وصفه باستخراجه الباطل وتهييجه للشر، ثم تركه إياه كالبعير الأزب الذي يكثر الشعر بين حاجبيه وأشفاره، فيراع لذلك ظنا منه أن أحدا يطلبه، فيحيد عن الركب هاربا.

- وقوله[١٩]:

فإنَّكَ سَوْفَ تَحْلُمُ أَو تَنَاهى ∴ إذا مَا شِبْتَ أَو شابَ الغُراب

فقد تناص في هذا البيت مع المثل القائل:" حتَّى يَشِيبَ الغُرابُ"[٢٠].

ويضرب هذا المثل للشيء بعيد المنال الذي لا يمكن تحققه.

ذكر النابغة هذا المثل في معرض هجائه للشاعر عامر بن الطفيل، إذ كان هذا الشاعر قد هجا النابغة في أبيات أولها:

ألا مَن مُبلغٌ عني زيادًا ∴ غداةَ القاعِ إذْ أزِف الضّرابُ[٢١]

فلما بلغه ذلك ردّ عليه بأبيات مصغرا إياه ومعيرا له بالجهل؛ لأن عامرا كان يرى نفسه فوق أبيه وعمه في السؤدد، وقد وظف هذا المثل ليدلل على أن عامرا لن يكون حليما أو متناهيا عن جهله حتى يشيب الغراب.

- وقوله[٢٢]:

تُوُرِّثْنَ مِنْ أزمانِ يومِ حليمةٍ ∴ غلى اليَوْمِ قَدْ جَرَّبْنَ كُلَّ التَّجارِبِ

فقد تناص به مع المثل القائل : "ما يَوْمُ حَليمة بِسِرٍّ"[٢٣].

ويضرب مثلا لكل أمر مشهور.

---

(١٨) جمهرة الأمثال، أبوهلال العسكري (ت٣٩٥هـ)،دار الفكر، بيروت، د. ت، ١٥٤/٢.
(١٩) ديوان النابغة الذبياني ، ص١٠٩ .
(٢٠) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبوعبيد البكري، تحقيق:د. إحسان عباس ود.عبدالمجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣،١٩٨٣، ص٤٧٤.
(٢١) ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٠٩ .
(٢٢) ديوان النابغة الذبياني ، ص ٤٥.
(٢٣) مجمع الأمثال ، الميداني ، ١ / ٣٨١ .

ويوم حليمة هو يوم مشهور انتصر فيه الحارث بن جبلة الغساني ملك الشام على المناذرة، ونسب هذ اليوم إلى حليمة بنت الحارث الغساني؛ لأنها أخرجت إلى المعركة مراكن الطيب، فكانت تطيب الجند الداخلين في الحرب، فقاتلوا بشراسة حتى تفانوا.

وقد وظفه النابغة في معرض مدحه لعمرو بن الحارث الغساني حين هرب إلى الشام خوفا من النعمان بن المنذر بعد أن وشى به مرة بن ربيعة بن قريع، ليدلل به على أمجاد الغساسنة في الأيام الماضية ويذكره بانتصاراتهم على المناذرة في يوم حليمة.

-وقوله [٢٤]:

تدعو القطا، وبها تدعى،إذا نسبتْ ∴ يا حسنها ، حين تدعوها ، فتنتسبُ

فقد تناص به مع المثل القائل :" أصْدَقُ مِنْ قَطَاةٍ "[٢٥].

ويضرب هذا المثل عند مطابقة الشيء لواقعه وحقيقته، فإن صوت القطاة(قق قق) يحاكي اسمها.

وقد وظف هذا المثل مدللا على صدق فرسه في العدو التي كانت تحمله متقدمة به على الخيول جميعا، ويضفي عليها كثيرا من الأوصاف التي تدل على أصالتها مشبها إياها بالقطاة التي يحاكي صوتها اسمها.

- وقوله [٢٦]:

ضلتْ حلومهمُ عنهم ، وغرهمُ ∴ سنُّ المعيديّ غي رعيٍ وتغريبِ

فقد تناص به مع المثل القائل :" تَسْمَعُ بالْمَعْيِدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أنْ تَرَاهُ "[٢٧]

يضرب مثلاً للذي رؤيته دون السماع به، وفي كل ما جرى هذا المجرى[٢٨]

(٢٤) ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٧٧ .
(٢٥) جمهرة الأمثال، أبوهلال العسكري ، ٥٨٤/١ .
(٢٦) ديوان النابغة، ص٤٩.
(٢٧) مجمع الأمثال ، الميداني ، ١ / ١٣٩ .
(٢٨) العمدة في محاسن الشعر وآدابه أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م، ٢٨٥/١.

وقد وظف النابغة هذا المثل لهجاء بني أسد وبني فزارة وتحقيرهم والحط من شأنهم ؛ فحلومهم ضلت وأصابهم الغرور عندما اعتدوا على حمى الغساسنة حتى جاءهم جيش الغساسنة فقتل منهم الكثير وأسر الكثير منهم ؛ فسعى النابغة إلى تخليصهم، ويبين أنهم أضعف من أن يغزوا النعمان بن الحارث رغم ما يبدو له من استعدادهم لذلك فهم كالمعيدي تسمع به خير من ان تراهم.

- وقوله[٢٩]:

أَمْسَتْ خَلاَءً وأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا ∴ أَخْنَى عَلَيهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبدِ

فقد تناص به مع المثل القائل : " أتى أبَد على لُبَد "[٣٠] .

يضْرب فِي تقضي الْأَوْقَات وَإِن طَالَتْ[٣١].

وقد وظف هذا المثل ليدلل به على فناء الديار وذهاب أهلها بفعل الزمن، كما أفنى الدهر لبد- وهو النسر السابع للقمان بن عاد حيث فني بفنائه- وهو يقدم بذلك عبرة مؤداها أن كل شيء زائلٌ وإن طال الزمان به.

- وقوله [٣٢]:

شمس مَوَانِع كل لَيْلَة حرَّة ∴ يخلفن ظن الْفَاحِش المعيار

فقد تناص به مع المثل القائل : "بَاتَتْ بِلَيْلَةِ حُرَّةٍ "[٣٣]

ويضرب للبكر إِذا زفّت إِلَى زَوجهَا فَدخل بهَا وَلم يَفترِعْها لَيْلَة زفافها: باتت بليلةٍ حُرَّة[٣٤].

وقد وظف هذا البيت في هجاء زرعة بن عمرو بن خويلد الذي أشار إليه أن يقنع قومه بالإغارة على بني أسد ونقض حلفهم، فأبى النابغة الغدر، فتوعده زرعة

---

(٢٩) ديوان النابغة، ص١٦ .

(٣٠) جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري ، ١ / ١٢٦ .

٣١) المستقصى في أمثال العرب،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط٢، ١٩٨٧م، ٣٦/١.

(٣٢) ديوان النابغة، ص٥٨.

(٣٣) مجمع الأمثال ، الميداني ، ١ / ١٠١ .

(٣٤) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م،٢٩٥/١١.

فلما بلغه ذلك هجاه ومدح رجال بني أسد بأنهم شجعان لا يتمكن منهم كالحرة التي لم تمكن الفاحش المغيار منها وتخلف بذلك ظنه.

- **وقوله[٣٥]:**

ولستَ بمستبقٍ أخاً ، لا تلمُّهُ ∴ على شَعَثٍ ، أيُّ الرّجال المُهَذَّبُ ؟

فقد تناص به مع المثل القائل :" أيُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ "[٣٦] .

يضْرب مثلا للرجل يعرف بالإصابة فِي الْأُمُور وَتَكون مِنْهُ السقطة[٣٧].

وقد وظف هذا المثل في قصيدة مدح فيها النعمان بن المنذر معتذرا إليه مبينا أن لا أحد يسلم من النقص، ويطلب منه العفو عما وشي به إليه.

- **وقوله[٣٨]:**

أحْلامُ عادٍ ، وأجسادٌ مُطَهَّرَةٌ ∴ مِنَ المعقةِ والآفاتِ والإثمِ

فقد تناص به مع المثل القائل :"أحلام عاد"[٣٩].

مثل يضرب عند العرب لرجاحة العقول.

وقد وظف هذا المثل في مدح آل غسان مدللا على رجاحة عقولهم وسداد رأيهم، فهم كرجال عاد الثمانية الذين ضرب بهم المثل في الحكمة ورجاحة العقل.

- **وقوله [٤٠]:**

حَدِّثُوني بني الشَقيقَةِ ما يَمِ ∴ نعُ فقعاً ، بقرقرٍ ، أن يزولا

فقد تناص به مع المثل القائل :"أَذَلُّ مِنْ فَقْعٍ بِقَرْقَرَةٍ "[٤١]

---

(٣٥) ديوان النابغة، ص ٧٤ .
(٣٦) مجمع الأمثال،الميداني، ٣٣/١ .
(٣٧) جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري ، ١٨٨/١.
(٣٨) ديوان النابغة، ص١٠١.
(٣٩) جمهرة الامثال ، ابو هلال العسكري ، ١/ ٤٠٧ ،الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ،تحقيق : د.إلهام عبد الوهاب المفتي،الكويت ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م .
(٤٠) ديوان النابغة ، ص ١٧٠ .
(٤١) جمهرة الأمثال، أبوهلال العسكري، ج١/ ٤٦٩ . ومجمع الأمثال،الميداني، ١/ ٢٨٤ .

ويضرب مثلا للذليل.

وقد وظفه الشاعر في موطن الهجاء؛ ليقلل من شأن المهجوّ؛ لأن الفقع ضرب من الكمأة تدوسه الأغنام في وقت الرعي، فلا تبقي له باقية.

- **وقوله [٤٢]:**

زَعَـــمَ البَـــوارِحُ أنّ رِحْلَتَنـــا غَـــداً ∴ وبـــذاكَ خبرنـــا الغـــدافُ الأســـودُ

فقد تناص به مع المثل القائل :" أشأَمُ مِنْ غُرَابِ الْبَيْنِ "[٤٣]

ويضرب مثلا للتطير والتشاؤم.

فقد وظف الشاعر المثل إيذانا باقتراب رحيله عند ديار النعمان.

- **وقوله [٤٤]:**

والمـؤمنِ العائِـذاتِ الطّـيرَ ، تمسَـحُها ∴ ركبـانُ مكـةَ بـينَ الغيـلِ والسـعدِ

فقد تناص به مع المثل القائل: " آمَنُ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ "[٤٥]

وقد وظف هذا المثل في قصيدةيعتذر فيها مما وشى به بنو قريع للنعمان في شأن المتجردة، فهو يقسم بالله الذي تعيش في بيته الحرام الطيور آمنة دون أن ينفرها أحد؛ ليدفع التهمة عن نفسه مما رمي به.

- **وقوله[٤٦]:**

احْكُـمْ كحُكْـمِ فَتـاةِ الحَـيّ إذْ نظـرتْ ∴ إلى حَمَـــامٍ شِـــراعٍ وارِدِ الثَّمَـــدِ

فقد تناص به مع المثل القائل: " احكم من زرقاء الْيَمَامَة "[٤٧]

ويضرب مثلا للحكمة والصواب في الرأي.

وقدد وظفه النابغة في اعتذارهللنعمان طالبا منه أن يكون حكيما في أمره مصيبا في رأيه غير متسرع في حكمه عليه مما سعى به الوشاة إليه، وأن يكون

---

(٤٢) ديوان النابغة، ص ٨٩ .
(٤٣) جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري ،١/ ٥٩٩ ، ومجمع الأمثال،الميداني، ١/ ٣٨٣ .
(٤٤) ديوان النابغة، ص ٢٥ .
(٤٥) جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري ،١٩٩/١،ومجمع الأمثال،الميداني، ٨٧/١ .
(٤٦) ديوان النابغة، ص ٢٣.
(٤٧) المستقصى في أمثال العرب ،الزمخشري ، ٦٩/١ .

دقيقا في حكمه كزرقاء اليمامة إذ أصابت في حكمها عندما رأت سربا من الحمام تمر بين جبلين فعرفت أعدادها وكانت مصيبة فيما قالت.

- وقوله [٤٨]:

فـــــإني لا ألامُ علـــــى دخـــــولٍ ∴ ولكـــــنْ مـــــا وراءك يـــــا عصـــــامُ ؟

فقد تناص به مع المثل القائل : " ما وَرَاءِكَ يَا عِصَام؟"[٤٩].

يضْرب مثلا فِي استعلام الْخَبَر[٥٠].

وقد وظفه النابغة عندما زار النعمان في مرضه، ولم يسمح له بالدخول عليه ؛ لأن النابغة قد حجبه لما بلغه عنه من أمر المتجردة، فقال هذا البيت مخاطبا عصام بن شهبرة الجرمي، ليعرف حقيقة الأمر وكنهه من حاجب النابغة.

- وقوله [٥١]:

علَـــوتَ مَعَـــدّاً نـــائِلاً ونِكايَـــةً فأنـــتَ ، ∴ لغَيـــــثِ الحمـــــــدِ ، أوّلُ رائِـــــــدِ

فقد تناص به مع المثل القائل: "لاَ يَكْذِبُ الرَائِدُ أَهْلَهُ "[٥٢]

يضرب فيما يُخَاف من غِبِّ الكذب[٥٣]. ووظف هذا المثل في قصيدة مدح بها النعمان بن جلاح الكلبي الذي اطلق سبي غطفان وأسراهم بعد غزوه لهم، إكراما للنابغةوذلك عندما علم أن من بينهم عقرب بنت النابغة، ويبين النابغة في هذا البيت أن النعمان الكلبي سابق إلى الحمد ، فهو كالرائد الذي يتقدم أهله إلى المرعى ولا يكذبهم حديثا .

---

(٤٨) ديوان النابغة ، ص ١٠٥ .

(٤٩) الأمثال، أبوعُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، تحقيق، الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث الأولى١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ص٢٠٥، جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري ، ٢٥٥/٢ ،الأمثال ، زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبوالخير الهاشمي (المتوفى: بعد٤٠٠هـ)،دار سعد الدين، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ، ص ٢٢٩ ، ومجمع الأمثال ، الميداني ،٢/ ٢٦٢ .

(٥٠) جمهرة الأمثال، أبوهلال العسكري، ٢٥٥/٢.

(٥١) ديوان النابغة ، ص ١٤٠ .

(٥٢) الأمثال ، الهاشمي ، ص ٣٤٠ ، ومجمع الأمثال ، الميداني ،٢/ ٢٣٢ .

(٥٣) مجمع الامثال، الميداني،٢٣٣/٢.

- **وقوله [٥٤]:**

تَبـــدو كَواكِبُـــهُ والشّـــمسُ طالعـــةٌ ∴ لا النـــورُ نـــورٌ ولاالإظـــلامُ إظـــلام

فقد تناص به مع المثل القائل " رأى الكواكب ظهرا "[٥٥] . ويضرب هذا المثل عند اشتداد الأمر [٥٦]. وقد وظف هذا المثل في قصيدة يهجو فيها بني عامر لسعيهم إلى فك تحالفهم مع بني ذبيان وبني أسد ، ويدعوهم إلى مصالحة قومه بني ذبيان ، وأن لا يعودوا لمثل هذا المطلب ؛ لأنه يخشى عليهم من يوم شديد يهزمون فيه ؛ وهذا اليوم لشدته ترى فيه النجوم في وضح النهار .

ثانيا) في الحكم:

يقول النابغة [٥٧]:

وَلَسْـــتَ بمُسْـــتَبقٍ أَخـــاً لاَ تَلُمّـــهُ ∴ عَلـــى شَـــعَثٍ أَيُّ الرِّجَـــالِ الْمُهَـــذَّبُ؟

فقد تناص في هذا البيتمع الحكمة القائلة:" حافظ على الصديق ولو في الحريق"[٥٨]

ونجده قد تناص به أيضا مع حريش السعدي الشاعر الجاهلي في قوله[٥٩]:

أخ لـــي كأيّـــام الحيـــاة إخـــاؤه ∴ تلـــوّن ألوانـــا علـــيّ خطوبهـــا

إذا عبـــت منـــه خلّـــة فتركتـــه ∴ دعـــتني إليـــه خلّـــة لا أعيبهـــا

إذ دعا كل منهما إلى الحفاظ على الصديق وإن كان به بعض العيون، فليس ثمة صديق يخلو من عيب. ويؤكد هذا المعنى قول بعض الحكماء:"من لك بأخيك كله"[٦٠]

---

(٥٤) ديوان النابغة ، ص ٨٣.

(٥٥) مجمع الأمثال للميداني، ٢٩٤/١ . والعقد الفريد، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ت (٣٢٨ه) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ، ٦٠/٣ .

(٥٦) انظر مجمع الامثال ، ج١ ، ص ٢٩٤ .

(٥٧) ديوان النابغة ، ص ٧٤.

(٥٨) جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري ، ٢ / ٩٢ . و

(٥٩) انظر: الرسائل السياسية،عمرو بن بحر، أبو عثمان، الجاحظ،: دار ومكتبة الهلال، بيروت، د،ت، ٤٩١/١.

(٦٠) الرسائل السياسية، الجاحظ، ص٨٥.

- **وقوله [٦١]:**

أَبـــى اللَـــهُ إلّـــا عَدلَـــهُ وَوَفـــاءَهُ ∴ فَـلا النُكـرُ مَعـروفٌ وَلا العُـرفُ ضـائِعُ

فقد تناص به مع الحكمة القائلة: "الحمد مغنم والذّمّ مغرم"[٦٢]

ونجده قد تناص به أيضا مع المرقش الأصغر في قوله[٦٣]:

فمن يلقَ خيراً يحمد الناسُ أمره ∴ ومن يغو لا يعدمْ على الغيِّ لائما

فكلا الشاعرين أشار إلى أن المعروف لايضيع بين الناس، فصاحبه يكسب الحمد والثناء.

- **وقوله[٦٤]:**

ولســـتُ بـــذاخرٍ لغـــدٍ طعامـــاً ∴ حـــذارَ غـــدٍ ، لكـــلّ غـــدٍ طعـــامُ

فقد تناص به مع الحكمة القائلة: " تحلوا بالجود يكسبكم المحبة "[٦٥]

ونجده قد تناص به أيضا مع أوس بن حجر في قوله [٦٦]:

ولســـت بخـــابىء أبـــدا طعامـــا ∴ حـــذار غـــد، لكـــلّ غـــدٍ طعـــام

ويلحظ أن التناص هنا وقع في اللفظ والمعنى، فثمة تناص لفظي في الشطر الثاني لكل من البيتين. وقد دعا كل منهما إلى الإنفاق وعدم التقتير خشية نفاد الرزق؛ ففكرة أن الله هو الرازق موجودة في عقيدة الشاعر الجاهلي، ولعل ذلك قد تناهى إلى أذهانهم من التجربة والمشاهدة أو أنهم قد تأثروا بعقيدة التوحيد التي دعا إليها إبراهيم عليه السلام، والتي كانت منتشرة في الجزيرة العربية قبل مجيء الإسلام بمدة وجيزة.

---

(٦١) ديوان النابغة ، ص ٣٩ .

(٦٢) العقد الفريد، أحمد بن عبدربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ٤٢/٣ .

(٦٣) انظر: المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي،تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦، د.ت، ص٢٤٧.

(٦٤) ديوان النابغة ، ص ٢٣٢ .

(٦٥) العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي ، ١ / ١٨٩ .

(٦٦) ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٩م ، ص ١١٥ .

- **وقوله**[٦٧]:

فـــالرفقُ يمـــنٌ ، والأنـــاةُ ســـعادةٌ ∴ فتـــأنّ في رفـــقٍ تنـــالُ نجاحـــاَ

فقد تناص بهذه الحكمة القائلة:" ثمرة العجلة الندامة"[٦٨]

ونجده قد تناص به أيضا مع عديّ بن زيدفي قوله[٦٩]:

قـــد يـــدرك المبطـــئ مـــن حظّـــه ∴ والحـــين قـــد يســـبق جهـــد الحـــريص

فكـلا الشـاعرين يـدعو إلـى التـأني والرفـق مبينـا فضـل التـأني فـي تحقيـق الحاجات، ويؤكد هذا المعنى قول بعض الحكماء:" يدرك بالرفق ما لا يدرك بالعنف، ألا ترى أن الماء على لينه يقطع الحجر على شدّته"[٧٠]**، وأحسن منه قوله ﷺ :"إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ"**[٧١].

- **وقوله** [٧٢]:

واليـــأسُ ممّـــا فـــاتَ يُعقِـــبُ راحَـــةً ∴ ولـــربّ مَطعَمـــةٍ تَعـــودُ ذُباحـــا

فقد تناص بهذا البيت مع الحكمة القائلة:" من لم يأسَ على ما فاته أراح نفسه"[٧٣]

ونجده قد تناص به أيضا مع بشر بن أبي خازم[٧٤]:

ألـــيس طـــلاب مـــا قـــد فـــات جهـــلا ∴ وذكـــر المـــرء مـــا لا يســـتطيع

---

(٦٧) ديوان النابغة ، ص ٢٠٠ .

(٦٨) المستطرف من كل فن مستظرف، محمد بن أحمد الأبشيهي، عالم الكتب، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، ١ / ٣٨ .

(٦٩) ديوان عدي بن زيد العبادي، جمعه وحققه محمد عبد الجبار المعيبد ، وزارة الثقافة والإرشاد دار الجمهورية للنشر والطباعة ، بغداد ، ١٩٦٥م ، ص ٧٠ .

(٧٠) العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ ، ٢ / ٢٠٢ .

(٧١) صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٤ / ٢٠٠٤ .

(٧٢) ديوان النابغة ، ص ٢٠٠ .

(٧٣) مجمع الأمثال ، الميداني ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢ / ٢٧٥ .

(٧٤) ديوان بشر بن أبي خازم ، الأسدي ، قدم له وشرحه مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م ، ص ٩٧ .

فكلامها يشير إلى ضرورة أن يترك المرء ما لا يناله؛ لأن الطمع في الميؤوس من حصوله قد يورث ذلة.

- **وقوله[٧٥]:**

فإنْ يَكُ عامِرٌ قد قالَ جَهلاً ∴ فإنّ مَظِنّةَ الجَهْلِ الشّبابُ

فقد تناص بهذا البيت مع الحكمة القائلة:" عدو الرجل حمقه وصديقه عقله"[٧٦]

ونجده قد تناص به أيضا مع الأفوه الأودي[٧٧]:

لا يصلح الناسُ فوضى لا سراةَ لهمْ ∴ ولا سَرَاةَ إذا جهالهُم سادوا

فكلاهما يشير إلى افتقار الشباب إلى الحكمة والروية، وهذا مقترن بطبيعة مرحلتهم العمرية، قال الثعالبي:" الشَّبَاب لِلْجَهْل مَطِيَّة، وللذنوب مَطِيَّة"[٧٨].

- **وقوله [٧٩]:**

مَنْ يطلبِ الدّهرُ تُدركْهُ مخالبُهُ ∴ والدّهرُ بالوترِ ناجٍ، غيرُ مطلوبِ

فقد تناص بهذه الحكمة القائلة:" المرء يعجز لا محالة"[٨٠]

ونجده قد تناص به أيضا مع عنترة[٨١]:

تعالوا إلى ما تعلمون فإنني ∴ أرى الدهر لا ينجي من الموت ناجيا

فكلاهما يؤكد فكرة مغالبة الدهر للمرء وأن لا نجاة لمخلوق منه كائنا من كان.

---

(٧٥) ديوان النابغة ، ص ١٠٩.
(٧٦) الأمثال ، ابن سلام ، ١ / ١٢٥ .والحكمة لأكثم بن صيفي .
(٧٧) ديوان الأفوه الأودي، شرح وتحقيق د. محمد التونجي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٨م، ص ٦٦ .
(٧٨) تحسين القبيح وتقبيح الحسن،: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق: نبيل عبدالرحمن حياوي، دار الأرقم بن أبي الأرقم،بيروت –لبنان،دـ.ت، ص٦٢.
(٧٩) ديوان النابغة، ص ٢٢٧.
(٨٠) مجمع الأمثال، الميداني ، ٢ / ٢٨٩ . والحكمة لأكثم بن صيفي .
(٨١) ديوان عنترة بن شداد ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٠م ، ص ٨٢ .

- **وقوله(٨٢):**

إنـــي وجـــدتُ سِـــهامَ المـــوتِ مُعرِضَـــةً ∴ بكـــلّ حتـــفٍ ، مـــن الآجـــالِ ، مكتـــوبِ

فقد تناص بهذا البيت مع الحكمة القائلة:" إن الحذر لا يدفع المقدور"(٨٣)

ونجده قد تناص به أيضا مع عنترة(٨٤):

ومـــن ذا يـــردُّ المـــوتَ أو يـــدفع القضـــا ∴ وضـــــربتُهُ محتومـــــةٌ لـــــيس تعثـــــرُ

فقد ارتكزت فكرة البيتين على حتمية الموت وأنه يأتي صاحبه دون استئذان، وفي وقت مفاجئ لا يعلمه أحد.

- **وقوله(٨٥):**

المـــــــرءُ يأمـــــــلُ أن يَعـــــــيشَ ∴ و طـــــولُ عـــــيشٍ قـــــد يضـــــرهْ

فقد تناص بهذا البيت مع الحكمة القائلة:"من عاش مات،ومن مات فات"(٨٦)

ونجده قد تناص به أيضا مع نمر بن تولب(٨٧):

يـــودّ الفتـــى طـــول السّـــلامة جاهـــداً ∴ فكيـــف تـــرى طـــول السّـــلامة يفعـــل

فكلا الشاعرين يؤكد حب المرء للحياة وكثرة آماله في البقاء غير أن طول الحياة يضر المرء؛ إذ يهرم ويصبح عاجزا عن ممارسة الحياة.

- **وقوله (٨٨):**

وكـــل فتـــى وإن أمشـــى وأثـــرى ∴ ســـتخلجه عـــن الـــدنيا المنـــون

فقد تناص بهذا البيت مع الحكمة القائلة:" فما للمنايا بدّ"(٨٩)

---

(٨٢) ديوان النابغة ، ص ٢٢٧ .

(٨٣) جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري ، ٢ / ٢٧١ . والحكمة لأكثم بن صيفي .

(٨٤) ديوان عنترة ، ص ١٤٧ .

(٨٥) ديوان النابغة ، ص ٢٣٠.

(٨٦) العقد الفريد ، ابن عبد ره الأندلسي ، ٤ / ٢١٥ . والحكمة لقس بن ساعدة الايادي .

(٨٧) ديوان النمر بن تولب العكلي ، جمع وشرح وتحقيق ، د . محمد نبيل الطريفي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ص ١٠١ .

(٨٨) ديوان النابغة ، ص ٧٥ .

(٨٩) الأمالي، أبوعلي القالي، عني بترتيبها محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٢٦م ، ١ / ١٦٩م ، والحكمة لهانئ بن قبيصة الشيباني. الحكمة لهانئ بن قبيصة الشيباني في يو ذي قار .

ونجده قد تناص به أيضا مع حاتم الطائي[٩٠]:

أَمَـاوَيَّ مَـا يُغْنِـي الثَّـرَاءُ عَـنِ الْفَتَـى ∴ إِذَا حَشْـرَجَتْ يَوْمًـا وَضَـاقَ بِهَـا الصَّـدْرُ

فقد تضمن كلا البيتين فكرة مؤداها أن المال لا يدفع الموت عن صاحبه إذا ما حان أجله.

- **وقوله[٩١]:**

قـل للـهمام وخـير القـول أصـدقه ∴ والـدهر يـومض بعـد الحـال بالحـال

فقد تناص بهذا البيت مع الحكمة القائلة:"من يصحب الزمان يرى الهوان"[٩٢]

ونجده قد تناص به أيضا مع بشر بن أبي خازم[٩٣]:

وقـدْ تَغْنَـى بِنـا حينـاً ونَغْنَـى ∴ بِهـا والـدَّهْرُ لَـيْسَ لَـهُ دوَامُ

ففكرة البيتين واحدة هي أن الدهر متقلب لا يبقي على حال فمن سره يوم ساءه يوم آخر؛ فدوام الحال من المحال.

- **وقوله [٩٤]:**

وقـال الشـامتون هـوى زيـاد ∴ لكـل منيـة سـبب مـبين

فقد تناص بهذا البيت مع الحكمة القائلة:" إن الحذر لا ينجي من القدر"[٩٥]

ونجده قد تناص به أيضا مع زهير بن أبي سلمى في قوله[٩٦]:

ومَـنْ هَـابَ أَسْـبَابَ المَنِيَّـةِ يَلْقَهـا ∴ وإِنْ رَامَ أَسْـبَابَ السَّـمَاءِ بِسُـلَّمِ

---

(٩٠) ديوان حاتم الطائي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص ٥٠ .
(٩١) ديوان النابغة ، ص ١٦٥.
(٩٢) التمثيل والمحاضرة ، أبو منصور الثعالبي ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، الدار العربية للكتاب ، ط٢ ، ١٩٨١م ، ١ / ٣٦ . والحكمة لأكثم بن صيفي .
(٩٣) ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ١٢٥ .
(٩٤) ديوان النابغة ، ص ٢٢٢ .
(٩٥) الأمالي ، أبو علي القالي ، ١ / ١٦٩م ، والحكمة لهانئ بن قبيصة الشيباني .
(٩٦) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨م ، ص ١١١ .

كلا البيتين يؤكد أن ثمة اسبابا مفضية إلى الموت ، وأنه لابد أن يدرك الإنسان أحدُ هذه الأسباب.

- وقوله (٩٧):

تعدو الذئابُ على من لا كلابَ له ∴ وتتقي مربضَ المستأسد الحامي

فقد تناص بهذا البيت مع الحكمة القائلة:" إن الذليل ليس له عضد"(٩٨)

ونجده قد تناص به أيضا مع زهير بن أبي سلمى(٩٩):

ومَنْ لَا يَذُدْ عَنْ حَوضِهِ بسِلاحِهِ ∴ يُهَدَّمْ، ومَنْ لَا يَظْلِم النَّاس يُظْلَمِ

فكلا البيتين يبين أن الإنسان القوي تهابه الناس ، وإنما يتطاولون على الضعيف من الناس.

- وقوله (١٠٠):

تُكَلّفُني أنْ يَفعَلَ الدّهرُ هَمّها ∴ وهل وجدتْ قبلي على الدهرِ قادرا ؟

فقد تناص بهذا البيت مع الحكمة القائلة:" لا سبيل إلى الخلود"(١٠١)

ونجده قد تناص به أيضا مع لبيد بن أبي ربيعة(١٠٢):

غَلَبَ الزّمانَ، وكانَ غَيرَ مُغَلَّب ∴ دَهرٌ طَويلٌ دائمٌ مَمدُودُ

يؤكد الشاعران ضعف الإنسان وانهزامه أمام الدهر؛ فالدهر لا يقوى أحد على مغالبته.

---

(٩٧) ديوان النابغة ، ص ٨٤ .

(٩٨) نثر الدر في المحاضرات ، منصور بن الحسين الرازي ، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ٦ / ٨٧ .

(٩٩) ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ١١١ .

(١٠٠) ديوان النابغة ، ص ٦٧.

(١٠١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، أحمد بن عبد الوهاب النويري ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ١٣ / ٦٠ .

(١٠٢) ديوان لبيد بن ربيعة ، اعتنى به حمدو طماس ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٢ ، ص٣٣ .

المبحث الثاني
التناص الأسطوري

تضمن الأدب العربي كثيرا من الأساطير أو الإشارات الأسطورية، وقد وظفها الشاعر لخدمة المعاني التي يود التعبير عنها؛ لأن هذه الأساطير على ما تحمله من اختصار وإيجاز فهي تنطوي على معان عميقة ودلالات واسعة يود الشاعر أن يقدمها إلى المتلقي، وهي تغني عن الكثير من التعبيرات اللغوية المطولة، فضلا عما تحمله للنص من أبعاد دلالية ومعان موحية يمكن الكشف عنها بالرجوع إلى السياقات القصصية الدالة على أصل الأسطورة.

وقد وردت بعض الأساطير والإشارات الأسطورية في شعر النابغة الذبياني، وقد قام بتوظيفها في شعره إغناء لتجربته الشعرية، وقد استطاع من خلالها نقل دلالات ومعانٍ ربما لا يتسنى له نقلها لو اعتمد التعبيرات اللغوية المباشرة. ومن أبرز هذه الأساطير:

١- **أسطورة لبد:**

لبد هو النسْر السَّابِع من نسور لُقْمَان بن عَاد؛ إذ كان يربي النسر صَغِيرا فِيمَا زَعَمُوا حَتَّى يهرم فَإِذا ما هرم ومَاتَ ربّى نسراً آخر، وظل كذلك يفعل إلى أن بلغ عددها سبعة نسور، وقد كان لبد آخرها،والنسْر يعِيش أَرْبَعمِائَة سنة فيما زعموا(١٠٣).

وقد وظف النابغة هذه الأسطورة في قوله(١٠٤):

أَمسَت خَلاءً وَأَمسى أَهلُها اِحتَمَلوا ∴ أَخنى عَلَيها الَّذي أَخنى عَلى لُبَدِ

وفيها يمدح النعمان بن المنذر ويعتذر إليه مما وشي إليه به في أمر المتجردة زوجته، وعلى عادة الشعراء الجاهليين وقف النابغة على الاطلال ووصفها بأنها خلو من ساكنيها بالية لا أنيس فيها ولا حياة، فقد رحل الأحبة منها، ولم يبق

(١٠٣) انظر جمهرة الأكثال ، العسكري ، ١ / ١٣٦ .
(١٠٤) ديوان النابغة ، ص ١٦.

إلا آثار دارسة، كمحبس الخيل ، والنؤي. ويربط النابغة حال الديار وما فعله الدهر بها بحالة نسر عاد(لبد) الذي أتى عليه الدهر فأفناه.

٢- أسطورة زرقاء اليمامة:

وزرقاء اليمامة هي امرأة من جَدِيس، قيل في بعض الروايات: إن اسمها عنز، كانت تُبْصِر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام، وتذكر الأسطورة قصصا عنها منها أنها رأت سربا من القطا، وكانت لها قطاة، فاستطاعت أن تخمن عدد القطا، وذلك في قولها:

يَـــا لَيْـــت ذَا القطـــا لنـــا ∴ وَمثـــل نصـــفه مَعَـــه

إِلَـــى قطـــاة أهلنـــا ∴ إذن لنـــا قطـــاً ميـــه[١٠٥]

فكانت صائبة في حكمها على عدد القطا. وقد وظف النابغة هذه الأسطورة التاريخية في قصيدة له- مرّ ذكرها- يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر مما وشى به الوشاة في أمر المتجردة؛ طالبا منه أن يكون مصيبا في حكمه عليه وأن يتبين صحة الأمر كما تبينت زرقاء اليمامة عدد القطا، وأن لا يقبل أقوال الوشاة دون تمحيص ويقصد بهم بني قريع الذين حاولوا الإيقاع بين النابغة والنعمان بن المنذر. وقد كان يضرب بزرقاء اليمامة هذه المثل في حدة البصر، فقيل: أبصر من زرقاء اليمامة، وقيل أحكم من زرقاء اليمامة[١٠٦].

وقد أشار النابغة إلى هذه الاسطورة وذلك بقوله[١٠٧]:

اِحكُم كَحُكمِ فَتاةِ الحَيِّ إِذ نَظَرَت ∴ إِلـــى حَمـــامِ شِـــراعٍ وارِدِ الثَمَـــدِ

يَحُفُّـــهُ جانِبـــا نيـــقٍ وَتُتبِعُـــهُ مِثـــلَ ∴ الزُجاجَـــةِ لَـــم تُكحَـــل مِـــنَ الرَمَـــدِ

قالَـــت أَلا لَيتَمـــا هَـــذا الحَمـــامُ لَنـــا ∴ إِلـــى حَمامَتِنـــا وَنِصـــفُهُ فَقَـــدِ

فَحَسَّـــبوهُ فَـــأَلفَوهُ كَمـــا حَسَـــبَت ∴ تِسـعًا وَتِسـعينَ لَـم تَـنقُص وَلَـم تَـزِدِ

---

(١٠٥) مجمع الأمثال ، الميداني ، ١ / ٢٢٢ .

(١٠٦) الأغاني،علي بن الحسين أبو الفرج الأصبهاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ،١١/٢٥.

(١٠٧) ديوان النابغة ، ص ٢٣ ،٢٤ .

فَكَمَّلَــت مِائَــةً فيهــا حَمامَتُهــا ∴ وَأَســرَعَت حِســبَةً فــي ذَلِــكَ العَــدَدِ

٣- أسطورة ذات الصفا(١٠٨):

وذات الصفا هي أفعى تعيش في وادٍ لا يجرؤ أحد الاقتراب منه، ويقال: إنه كان هناك أخوان معهما إبل، فأقفرت أرضهم،فهبط أحدهما بإبله إلى الوادي فلدغته الأفعى فمات، فقرر أخوه أن يثأر له، فنزل الوادي إلا أن الأفعى عقدت صلحا معه على أن تعطيه دينارا كل يوم وتتركه مع إبله في واديها، غير أنه غدر بها وضربها بفأس فأخطأها،فقطعت عنه الدينار، فندم، فقال لها: هل لك في: ان نتواثق ونعود إلى ما كنا عليه، فقالت: كيف أعاودك وهذا أثر فأسك وأنت فاجر لا تبالي العهد.

وقد وظف النابغة هذه الأسطورة في قصيدة يعاتب فيها بني مرة على نقضهم الحلف الذي كان مع قومه كما عاتب قومه أيضا؛ لاجتماعهم عليه وحسدهم إياه رغم قيامه بحوائجهم عند الملوك. ويبين من خلال توظيف هذه الأسطورة أنه لم يلق من بني مرة وقومه إلا مالقيته هذه الأفعى من حليفها، فقد غدروا به كما غدر ذلك الرجل بالأفعى رغم إحسانها إليه.وفي ذلك قال النابغة(١٠٩):

وإنــي لأَلْقَــى مــن ذوي الضِّــغْنِ مــنهمُ ∴ ومــا أصــبحتْ تشــكو مــن الوجــدِ ســاهرهْ

كمــا لَقِيَــتْ ذاتُ الصَّــفا مــن حَليفِهــا ∴ ومــا انفكّــتِ الأمثــالُ في النّــاس ســائرَهْ

فقالــت لــه : أدعــوكَ للعقــلِ ، وافيــاً ∴ و لا تغســيني منــك بــالظلمِ بــادرهْ

فلمــا تــوفي العقــلَ ، إلاّ أقلــهُ ∴ و جــارتْ بــه نفــسٌ ، عــن الحــقّ جــائرهْ

تــذكرَ أنــى يجعــلُ اللهُ جنــةً ∴ فيصــبحَ ذا مــالٍ ، ويقتــلَ واتــرهْ

---

(١٠٨) انظر القصة كاملة في : حياة الحيوان الكبرى ، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ ، ١ / ٣٩٤ .

(١٠٩) ديوان النابغة ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

المبحث الثالث
التناص التاريخي

يعمد الشاعر إلى توظيف بعض الشخصيات والأحداث التاريخية؛ بغية تعميق تجربته الشعرية والتعبير عن فلسفته تجاه الموضوعات التي يتناولها في شعره، وهو بهذا يسعى إلى ربط الحاضر بالماضي ، وذلك من خلال استحضاره للحوادث والشخصيات، كما يعبر التناص التاريخي عن المخزون الفكري للشاعر ومدى إلمامه بثقافة الماضين؛ فيتمثل أحداثهم ويستخلص العبرة من تجاربهم، ويوظفها في نصه الحاضر، وقد عني النابغة بالتناص مع المكان حيث وظف بعض الأماكن المهمة؛ لما وقع فيها من أحداث تاريخية فاصلة.

ولما كان التاريخ سجلا حافلا بالوقائع والأحداث بين بني البشر فإن الشاعر يوظفه لإغناء تجربته الشعرية وزيادة عمقها وخصوبتها؛ فالتاريخ يعيد نفسه والأحداث المختزنة في ذهن الشاعر تظهر في صورة جديدة تكاد تكون مماثلة في إطارها العام للحوادث السابقة؛ لأن التجارب الإنسانية واحدة على مر العصور مهما اختلف الزمان والمكان.

وقد ذكر النابغة عددا من الملوك والشخصيات التاريخية في شعره، ويبدو من شعر النابغة أن جل الشخصيات المذكورة في شعره من ملوك الغساسنة والمناذرة فضلا عن ذكره لبعض الشخصيات التاريخية كهرم بن سنان وغيره.

ولعل النعمان بن المنذر كان من أشهر الملوك الذين احتلوا حيزا كبيرا في شعر النابغة؛ إذ إن الاعتذاريات التي تمثل جزءا كبيرا من ديوانه وموضوعا طريفا من موضوعات شعره إنما قيلت في النعمان بن المنذر. ويليه عمرو بن هند، وعمرو بن عامر، والحارث الأصغر، والحارث الأعرج وكلهممن ملوك آل جفنة الغساني، كما ورد في شعره ذكرا لحجر الكندي والد امرئ القيس.

وقد تضمنت النصوص الشعرية للنابغة الذبياني كثيرا من المدائح التي خص بها النعمان بن المنذر، فقد كان نديمه في قصره، فضلا عن الاعتذاريات التي

أنشأها له، والتي حاول فيها أن يبرئ نفسه مما نسب إليه حول المتجردة زوج النعمان، وتعد اعتذارياته فتحا جديدا في مسيرة الشعر العربي.

ولما كان الشعر ديوان العرب فقد جسد النابغة هذه المقولة؛ إذ نقل لنا كثيرا من الصور التي كانت سائدة في ذلك العصر، وجسد العديد من الحوادث التاريخية والقيم والعادات الاجتماعية في ذلك العصر فضلا عن الصور الكثيرة التي نقلها عن الملوك ولاسيما عند النعمان بن المنذر.

وبالرجوع إلى ديوان النابغة نجده قد نظم الكثير من الشعر في النعمان بن المنذر مادحا حينا ومعتذرا أحيانا أخرى.

وقد مزجت قصائد المدح بالاعتذار في شعر النابغة، ولعل أبرزهامعلقته التي توقف عندها النقاد، ومطلعها(١١٠):

يَـــا دَارَ مَيَّـــةَ بِالْعَلْيَـــاءِ فَالسَّـــنَدِ ∴ أَقْـــوَتْ وَطَـــالَ عَلَيْهَـــا سَـــالِفُ الأَبَـــدِ

وفيها يقول(١١١):

فَـــلا لَعَمْـــرُ الَّـــذي مَسَّـــحتُ كَعبَتَـــهُ ∴ وَمَـــا هُريـــقَ عَلـــى الأَنصـــابِ مِـــن جَسَـــدِ

وَالمُـــؤمِنِ العائِـــذاتِ الطَـــيرِ تَمسَـــحُها ∴ رُكبـــانُ مَكَّـــةَ بَـــينَ الغَيـــلِ وَالسَـــعَدِ

مـــا قُلـــتُ مِـــن سَـــيِّئٍ مِمّـــا أَتَيـــتَ بِـــهِ ∴ إِذًا فَـــلا رَفَعَـــت سَـــوطي إِلَـــيَّ يَـــدي

أُنبِئـــتُ أَنَّ أَبـــا قـــابوسَ أَوعَـــدَني ∴ وَلا قَـــرارَ عَلـــى زَأرٍ مِـــنَ الأَسَـــدِ

فقد أقسم النابغة بالله وما قدم له من قرابين ، وبحمائم مكة الآمنة في البيت الحرام مؤكدا للنعمان أنه بريء من كل ما وشي به إليه، بل ويدعو على نفسه بالشر بأن تقطع يده أو تشل إذا كان قد أساء إلى النعمان، مبينا أن ما نسب إليه ليس إلا افتراءات نقلها حساده إلى الملك النعمان.

ومن قصائده التي جمعت بين مدح النعمان والاعتذار إليه قصيدته التي مطلعها(١١٢):

---

(١١٠) ديوان النابغة ، ص ١٤ .
(١١١) ديوان النابغة ، ص ٢٥ .
(١١٢) ديوان النابغة ، ص ٣٠ .

عَفَــا ذُو حُســاً مــن فَرْتَنــا فــالفَوَارعُ ∴ فجَنْبــا أريــكٍ فــالتِّلاعُ الــدَّوَافِع

وفيها يذكر وعيد النعمان له وخوفه من أن تناله رماحه(١١٣):

وَعيــدُ أَبــي قــابوسَ في غَــيرِ كُنهِــهِ ∴ أَتــاني وَدونــي راكِــسٌ فَالضَــواجِعُ

فَبِــتُّ كَــأَنّي ســاوَرَتني ضَــئيلَةٌ ∴ مِــنَ الــرُقشِ في أَنيابِهــا السُــمُّ نــاقِعُ

فقد جسّد لنا فيها صورة تعكس مدى خوفه من النعمان مشبها نفسه بملدوغ قد داهمته أفعى فبات ليله متألما لم ينم ولم يشعر بالأمن، لما كان يعانيه من وسواس من وصول النعمان إليه وبطشه به، وفيها إشارة إلى قوة النعمان وعظم ملكه. وصورة أخرى جعل فيها النعمان كالليل الذي لا يترك مكانا إلا وأتى عليه، وذلك في قوله(١١٤):

فَإِنَّــكَ كَاللَّيْــلِ الَّــذِي هُــوَ مُــدْرِكِي ∴ وَإِنْ خِلْــتُ أَنَّ الْمُنْتَــأَى عَنْــكَ وَاسِــعُ

خَطَــاطيفُ حُجْــنٍ فِــي حبــالٍ مَتِينَــةٍ ∴ تُمَــدُّ بهَــا أَيْــدٍ إِلَيْــكَ نَــوازِعُ

ومدح بعض ملوك الغساسنة وتقرب إليهم وأغدقوا عليه بالعطايا والصلات، ومنهم عمرو بن الحارث الأصغر الأعرج .

ومن مدائحه التي قالها فيعمرو بن الحارث قصديته التي مطلعها(١١٥):

كِلِينِــي لَهُــمْ يَــا أُمَيْمَــةُ نَاصِــبِ ∴ وَلَيْــلٍ أُقَاسِــيهِ بَطِــيءِ الْكَوَاكِــبِ

وفيها يقول(١١٦):

علــيَّ لعمــروٍ نِعمــةٌ بعــدَ نعمــةٍ ∴ لوالــدِهِ ليســتْ بــذاتِ عقــاربِ

حلفــتُ يَمينــاً غــيرَ ذي مَثنَويــةٍ ∴ ولا عِلــمَ إلا حُســنَ ظــنٍّ بصــاحبِ

لَــئنْ كــانَ للقَــبرَيْن قَبْــرٍ بجِلَّــق ∴ وقبْــرٍ بصَــيداءَ الَّــذِي عنــدَ حــاربِ

وللحــارثِ الجفــنيُّ ســيِّدُ قومــهِ ∴ ليلــتمس بــالجيشِ دارَ المُحــاربِ

---

(١١٣) ديوان النابغة ، ص ٣٢ وما بعدها .
(١١٤) ديوان النابغة ،ص ٣٨ .
(١١٥) ديوان النابغة ،ص ٤٠ .
(١١٦) ديوان النابغة ،ص ٤١ وما بعدها .

وَثِقْتُ لَهُ بالنَّصْرِ، إذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ ∴ قَبائِلُ مِن غَسَّانَ، غَيْرُ أَشائِبِ
بَنُو عَمِّهِ دُنْيا، وعَمْرُو بْنُ عامِرٍ ∴ أُولئِكَ قَوْمٌ، بَأْسُهُمْ غَيْرُ كاذِبِ

فهو يعترف بما أغدق عليه من عطايا وصلات، ثم يثني على كثير من ملوكهم في هذه القصيدة مبينا مآثرهم وعظيم مجدهم.

أيام العرب

منذ أن وجد الإنسان على هذه البسيطة وهو في صراع مستمر مع من حوله من بني البشر، وقد كان هذا دأب العرب في العصر الجاهلي، فقد كانوا مجتمعات قبلية متناحرة يشتبكون في حروب طويلة لأسباب ربما لا تستحق مثل هذه الحروب، وقد كانوا يسمون حروبهم أياما.

وقد وظف النابغة الذبياني كثير من الأحداث التاريخية ، وذكر عددا من أيام العرب مادحا ومصورا ، ومن هذه الأيام:

- **يوم حليمة:**

وهو يوم كان للغساسنة على المناذرة ، وفيه انتصر جبلة بن النعمان على المنذر بن المنذر بن ماء السماء وقتله في هذه الوقعة، وقد وظف النابغة هذا اليوم مستذكرا بطولات الغساسنة في قصيدة مدح فيهاعمرو بن الحارث(١١٧)، وفيها يقول(١١٨):

تُوُرِّثنَ مِن أَزمانِ يَومِ حَليمَةٍ ∴ إِلى اليَومِ قَد جُرِّبنَ كُلَّ التَجارِبِ

- **يَوْمُ النِّسَارِ**

النِّسَارُ: أَجْبُلٌ مُتَجَاوِرَةٌ، وَعِنْدَهَا كَانَتِ الْوَقْعَةُ، وَهُوَ مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَهُمْ. وكان سبب يوم النسار جدب حلّ بأرض مضر. وخصب أصاب بلاد بني سعد والرباب، مع غيث غامر. فلما وقع ذلك الغيث. أقبلت قبيلة عامر بن صعصعة ومن

---

(١١٧) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان الأردن، ص ص٥٧١ – ٥٧٢.
(١١٨) ديوان النابغة ، ص ٤٥ .

معهم من هوازن إلى بني سعد، وكانوا يواصلونهم بالنسب، فسألوهم أن يُرعوهم ومن معهم من هوازن ففعلوا.

فرعوا ذلك الغيث حينًا، حتى وقع شر، سببه أن "الحتف" وهو رجل من بني ضبة قتل رجلًا من بني قشير، فوقع الشر ووقعت الحرب، واجتمع بنو سعد مع بني عامر، واستمدوا بني أسد فأمدوهم، والتقوا مع "بني ضبة" بالنسار فاقتتلوا، فصبرت عامر، واستحر بهم القتل، وانفضت بنو سعد وهربت، ثم هرب بنو عامر(١١٩).

وقد استحضر النابغة هذا اليوم وما حصل به من أحداث في قصائده التي يبين فيها بطولات بني أسد وحلفه معهم، مذكرا عيينة بن حصن الفزاري بهذه البطولات ، وعيينة كان يسعى إلى فك التحالف مع بني أسد و ذلك قوله(١٢٠):

إذا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُوراً ∴ فَإِنِّي لَسْتُ منكَ ولَسْتَ منِّي

هُمُ دِرْعِي التِي اسْتَلأَمْتُ فيها ∴ إلى يَوْمِ النِّسَارِ وهُمْ مجنِّي

- **يَوْمُ الْجِفَارِ:**

ولما كان على رأس الحول من يوم النسار اجتمع من العرب من كان شهد النسار. وكان رؤساؤهم بالجفار، الرؤساء الذين كانوا يوم النسار، إلا أن بني عامر تقول: كان رئيسهم بالجفار "عبد الله بن جعدة بن كعب بن ربيعة"، فالتقوا بالجفار، واقتتلوا، وصبرت تميم، فعظم فيها القتل وخاصة في بني عمرو بن تميم. وكان يوم الجفار يسمى "الصيلم" لكثرة من قتل به(١٢١).

وقد ذكر النابغة هذا اليوم مشيدا ببطولات بني أسد، وذلك في قوله(١٢٢):

وَهُمْ وَرَدُوا الجِفَارَ عَلَى تميمٍ ∴ وَهُمْ أَصحابُ يومِ عُكَاظَ إِنِّي

(١١٩) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار الساقي، ط١، ٢٠٠١م، ٤٩/١٠. وانظر الكامل في التاريخ ، ابن الأثير الجزري ، تحقيق عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ١ / ٥٥٢ .

(١٢٠) ديوان النابغة ، ١٢٧.

(١٢١) انظر الكامل في التاريخ ، ابن الأثير الجزري ، ١ / ٥٥٤ . وانظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، ١٠ / ٥٠

(١٢٢) ديوان النابغة ، ١٢٧، ١٢٨ .

شَـــهِدْتُ لَهُـــمْ مَـــواطِنَ صـــادِقاتٍ ∴ أَتَيْـــتُهُمُ بِـــوُدِّ الصَّـــدْرِ مِنِّـــي

وهـــم ســـاروا لحجـــر في خمـــيس ∴ وكـــانوا يـــوم ذلـــك عنـــد ظـــني

وواضح في بيته الأول أنه يذكر يوم عكاظ وهو لقريش على هوازن

- **يوم عكاظ**

وكان لكنانة وقريش على هوازن، وبنو أسد يومئذٍ حلف مع قريش، وقد انتصرت فيه كنانة وقريش وأحلافهما على هوازن ومن معهم. وقد شارك الرسول ﷺ في هذا اليوم؛ إذ كان يناول أبناء عمومته من بني هاشم النبال، ويشير النابغة إلى بطولات بني أسد في هذا اليوم المشهود، وهو من أيام الفِجار الي نشبت في الأشهر الحرم، وسُمِّي عكاظا نسبة إلى المكان الذي كانت تقام فيه أشهر أسواق العرب في العصر الجاهلي(١٢٣). ويشير أيضا إلى حدث تاريخي وهو قتل قبيلة أسد حجر بن الحارث بن عمرو والد الشاعر امرئ القيس وهو من أعظم الأحداث التاريخية في سجل بطولات بني أسد(١٢٤).

- **يَوْمُ الرَّقَمِ**

كان هذا اليوم لبني بغيض بن ذبيان على بني عامر، ويشير النابغة الذبياني إلى انتصار بني ذبيان على بني عامر، وفيه قتل حنظلة أخو عامر بن الطفيل(١٢٥). وهو يوم حسي الذي أشار إليه النابغة في الأبيات .

ويبدو من الأبيات أن النابغة يهجو عامر بن الطفيل ويعيره بانهزامهم في هذه الوقعة، حيث يقول(١٢٦):

فَـــإِنْ يَـــكُ عَـــامِرٌ قَـــدْ قَـــالَ جَهْلًـــا ∴ فَـــإِنَّ مَطِيَّـــةَ الْجَهْـــلِ الشَّـــبَابُ

---

(١٢٣) انظر الاغاني ، الاصفهاني ، ، ٢٢ / ٣١٥ . وانظر مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام ، إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، ص ٧٣ وما بعدها .

(١٢٤) انظر قصة مقتله : نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، ابن سعيد الأندلسي ، ٢٤٦/١ .

(١٢٥) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير الجزري ، ١/ ٥٧٣ ، ٥٧٤ .

(١٢٦) ديوان النابغة ، ص ١٩ ، ٢٠ .

فَإِنَّـــكَ سَـــوْفَ تَحْلُـــمُ أَوْ تُبَـــاهِي ∴ إِذَا مَـــا شِـــبْتَ أَوْ شَـــابَ الْغُـــرَابُ
فَكُـــنْ كَأَبِيـــكَ أَوْ كَـــأَبِي بَـــرَاءٍ ∴ تُوَافِقْـــكَ الْحُكُومَـــةُ وَالصَّـــوَابُ
فَلَـــا تَـــذْهَبْ بِحُلْمِـــكَ طَامِيَـــاتٌ ∴ مِـــنَ الْخُيَلَـــاءِ لَـــيْسَ لَهُـــنَّ بَـــابُ
فـــإِنْ تكـــنِ الفـــوارسُ يـــومَ حِسْـــيٍ ∴ أصـــابُوا مـــن لِقائِـــكَ مَـــا أصـــابُوا
فَمـــا إِنْ كـــانَ مـــن نَسَـــبٍ بعَيـــدٍ ∴ ولكـــنْ أدركـــوكَ وَهُـــم غِضَـــابُ
فَـــوارسُ مـــن مَنُولَـــةَ غَـــيرُ مِيـــلٍ ∴ ومُـــرَّةَ فَـــوقَ جمعهِـــمُ العُقَـــابُ

وقول النابغة هذا شق على عامر بن الطفيل، وقال: "ما هجاني أحد حتى هجاني النابغة، جعلني القوم رئيساً، وجعلني النابغة سفيهاً جاهلاً وتهكم بي!"(١٢٧).

وثمة وقائع وأماكن ارتبطت بأحداث ذكرها النابغة في شعره، لعل أبرزها:

- **وقعة أُقُر:**

و(أُقُر) وادٍ مخصب ذو ماء وكلأ كان قد احتماه النعمان بن الحارث الغساني، فتربعته بنو ذبيان دون أن يحسبوا حسابا للملك، فنهاهم النابغة عن ذلك، ولكنهم لم يأبهوا لقوله، بل اتهموه بالجبن والخوف من النعمان الغساني، وكان منقطعا له، فمات فرثاه النابغة، ثم اعتلى سدة الحكم أخوه عمرو بن الحارث الغساني، فانقطع إليه النابغة، فوجه الملك عمرو بن الحارث الغساني جيشا إلى بني ذبيان، فبلغ منهم؛ إذ قتل من قتل، وأسر من أسر، ويذكر المؤرخون أن النابغة شفع لهم عند الملك فأطلق صراح الأسرى(١٢٨)، وقد قال النابغة قصيدة طويلة يمدح الملك ويصف ما جرى، مطلعها(١٢٩):

عُوجُـــوا فحَيّـــوا لِـــنُعْمٍ دِمْنَـــةَ الـــدَّارِ ∴ مَـــاذَا تُحَيَّـــونَ مِـــنْ نُـــؤْيٍ وأَحْجَـــارِ؟

(١٢٧) العمدة في محاسن الشعر وآدابه،ابن رشيق القيرواني الأزدي، ١٧٢/٢.
(١٢٨) انظر شرح أدب الكاتب لابن قتيبة ، موهوب بن أحمد الجواليقي ، قـدم لـه مصـطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د . ت ، ص ٢٢١ .وانظـر تـاريخ الأدب العربي _ العصر الجاهلي ، شوقي ضيف، ص٢٧٠ وانظر ديوان النابغة، ص٢٠٢ .
(١٢٩) ديوان النابغة ، ٢٠٢ .

وفيها يذّكر بني ذبيان بنهيه لهم وعدم اكتراثهم لقوله واتهامهم له بالجبن والخوف من عمرو بن الحارث الغساني، حيث يقول(١٣٠):

لَقَدْ نَهَيْتُ بَنِي ذُبْيَانَ عَنْ أُقُرٍ ∴ وَعَنْ تَرُبُّعِهِمْ فِي كُلِّ أَصْفَارِ

فَقُلْتُ: يَا قَوْمُ إِنَّا لَيِّثٌ مُنْقَبِضٌ ∴ عَلَى بَرَاثِنِهِ لِوَثْبَةِ الضَّارِي

عَيَّرْتَنِي بَنُو ذُبْيَانَ خَشْيَتَهُ ∴ وَهَلْ عَلَيَّ بِأَنْ أَخْشَاكَ مِنْ عَارِ؟

إِمَّا عُصِيتُ، فَإِنِّي غَيْرُ مُنْفَلِتٍ ∴ مِنِّي اللِّصَابُ، فَجَنْبَا حَرَّةِ النَّارِ

وقد تناص النابغة مع بعض الأماكن، ووظفها بطريقة واعية مشيرا إلى أبرز الحوادث التاريخية التي ذكرها في شعره؛ إذ إن هناك حوادث تاريخية كبيرة ارتبط ذكرها بأماكن معينة، فحيثما يذكر المكان يستحضر الخيال تلك الوقائع والأحداث.

- **جلق وصيداء وحارب**

وقد جاء ذكر هذه الاماكن مجتمعة في بيت شعر له، هو(١٣١):

لَئِنْ كَانَ للقبْرَيْنِ قَبْرٍ بِجلَّقٍ ∴ وقَبْرٍ بِصَيْداءَ الَّتي عندَ حارِبِ

قال ابن منظور:"جِلَّق، بِالتَّشْدِيدِ وَكَسْرِ الْجِيمِ، مَوْضِعٌ بِالشَّامِ مَعْرُوفٌ؛ قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: جَلَقَ اسْمُ دِمَشق"(١٣٢).أما صيداء فمدينة ساحلية بأرض الشام، وتقع الآن في لبنان(١٣٣).وأما حارب فهو" موضع من أعمال دمشق بحوران قرب مرج الصّفّر من ديار قضاعة"(١٣٤)، وأراد بالقبرين المقبورين وهما الحارث الأعرج ووالده الحارث الأكبر وهما والد الشاعر وجده(١٣٥).

(١٣٠) ديوان النابغة ، ص ٢٠٢ .
(١٣١) ديوان النابغة ، ص ٤١.
(١٣٢) لسان العرب، محمد بن مكرم أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ٣٦/١٠.
(١٣٣) معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م، ١٤٠/١.
(١٣٤) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٠٤/٢.
(١٣٥) انظر خزانة الأدب ، البغدادي ، ٣ / ٣٢٩ .

وقد وظف النابغة هذه الأمكنة ليدلل على عظم ملوك آل جفنة وذكرياته معهم في تلك الأمكنة.

- **بصرى**

قال النابغة(١٣٦):

لعمري ، لنعمَ المرءُ من آلِ ضجعمٍ ∴ تزورُ ببُصرى ، أو ببُرقةِ هارِبِ

فتى ، لم تلدهُ بنتُ أمٍ قريبةٍ ∴ فيضوي ، وقد يضوى رديدُ الأقارب

وبصرى بالضم، والقصر: قرية من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران، مشهورة عند العرب قديما وحديثا، ذكرها كثير في أشعارهم(١٣٧).

وقد وظف النابغة هذا المكان استذكارا لما دار فيها إبان حكم آل جفنة.

- **جاسم الجولان وحوران**

يقول النابغة(١٣٨):

سقى الغيثُ قبراً بينَ بصرى وجاسمٍ ∴ بغيثٍ ، من الوسمي ، قطرٌ ووابلْ

ولا زالَ ريحانٌ ومسكٌ وعنبرٌ ∴ على مُنتَهاهُ ، دِيمَةٌ ثمّ هاطِلُ

وينبتُ حوزاناً وعوفاً منوراً ∴ سأُتبِعُهُ مِنْ خَيرِ ما قالَ قائِلُ

بكى حارِثُ الجَولانِ من فَقْدِ ربّه ∴ وحورانُ منه موحشٌ متضائلُ

جاء في معجم ما استعجم:"جاسمعلى بناء فاعل: موضع بالشام، من عمل الجولان، يقرب من بصرى. قال الذبياني يرثى النّعمان بن الحارث(١٣٩):

سقى الله قبرا بين بصرى وجاسم ∴ ثوى فيه جود فاضل ونوافل

فآب مضلّوه بعين جليّة ∴ وغودر في الجولان حزم ونائل

والجولان: موضع قبره. ويروى: «فآب مصلّوه» بالصاد المهملة. ثم قال بعد هذا:

ولا زال يسقى بين شرج وجاسم ∴ بجود من الوسمي قطر ووابل"

---

(١٣٦) ديوان النابغة ، ٢٢٧

(١٣٧) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤٤١/١.

(١٣٨) ديوان النابغة ، ص ١٢١.

(١٣٩) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ، عالم الكتب، بيروت ،ط٣، ١٤٠٣ هـ، ٣٥٧/٢.

أما"حوران بفتح أوله، وإسكان ثانيه، وبالراء المهملة، على وزن فعلان: أرض بالشام"(١٤٠).

- **بيت راس**

قال النابغة(١٤١):

كـــأنّ مُشَعْشَـــعاً مِـــنْ خَمْـــرِ بُصـــرَى ∴ نَمَتْـــهُ البُخْـــتُ ، مَشـــدودَ الختـــامِ

نَمَـــينَ قِلالَـــهُ مِـــنْ بَيـــتِ راسٍ ∴ إلى لقمـــــانَ ، في ســـــوقٍ مقـــــامِ

وبيت رأس مكان بالشام مشهور بصناعة الخمور في العصر القديم، وقد أشار إليه حسان بن ثابت في شعره إلى اشتهارها بصناعة الخمر وذلك بقوله(١٤٢):

كَـــأَنَّ سَـــبِيئَةً مِـــنْ بَيْـــتِ رَأْسٍ ∴ يَكُـــونُ مِزَاجَهَـــا عَسَـــلٌ وَمَـــاءُ

- **تدمر**

قال النابغة(١٤٣):

ولا أرى فـــاعلاً ، في النـــاس ، يشـــبهه ∴ ولا أُحاشـــي ، مـــن الأقـــوام ، مـــن أحَـــدِ

إلاّ ســـليمانَ ، إذ قـــالَ الإلـــهُ لـــهُ ∴ قـــم في البريـــةِ ، فاحـــددها عـــنِ الفنـــدِ

وخـــيّسِ الجِـــنّ ! إنّـــي قـــد أَذِنْـــتُ لهـــمْ ∴ يَبْنُـــونَ تَـــدْمُرَ بالصُّـــفّاحِ والعَمَـــدِ

سميت تدمر بهذا الاسم نسبة إلى تدمر بنت حسان التي بنت المدينة في أيامها ، والصحيح أن سليمان عليه السلام قام ببنائها كما ورد في التوراة(١٤٤)، وهي من عجائب الأبنية، موضوعة على العمد الرخام، زعم قوم أنها مما بنته الجنّ

---

(١٤٠) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري،٢/٤٧٤.

(١٤١) ديوان النابغة ، ص ١٣١.

(١٤٢) انظر ديوان حسان بن ثابت ، شرحه وقدم هوامشه الأستاذ عبد أ. مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٤م ، ص ١٨ .

(١٤٣) ديوان النابغة ، ص ٢٠ .

(١٤٤) انظر الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، زينب بنت علي العاملي ، المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر ، ط١ ، ١٣١٢هـ ، ص ٢٢٧ .

لسليمان، عليه السلام[١٤٥]، ولعل الإعجاز في بنائها ما جعل كثير من الناس ينسبها إلى جن سليمان عليه السلام .

وقد وظف هذا المكان إشارة إلى عظم نبي الله سليمان والذي أعطي ملكا لم يعط أحد مثله.

(١٤٥) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ٢ / ٧٢ .

المبحث الرابع
التناص الدينيّ

يشغل الجانب الروحي حيّزا كبيرا في النفس الإنسانيّة، مهما كانت هذه الاعتقادات سواء أكانت صحيحة أو خاطئة، ولعل هذه الاعتقادات هي محاولة لمعرفة القوة الخارقة التي تصنع الأشياء أو تؤدي إلى وقوع الظواهر الكونية العظيمة، وقد آمن الشاعر الجاهلي بمنظومة من الاعتقادات بعضها موروث وبعضها نتيجة لتأثره بالكتب والأديان السماوية، ونلحظ أن النابغة قد وظف بعضا من الشخصيات الدينية كذكر بعض الأنبياء، وذكر كثيرا من الألفاظ الدينية التي تدل على تأثره بما كان شائعا من ديانات قد خلت، وبقي الكثير من آثارها تناقلته الأجيل عبر العصور المختلفة.

ويمكن أن نقسم التناص الديني إلى قسمين:

أ- ذكر الأنبياء

نوح -عليه السلام-

قال النابغة(١٤٦):

أَتَيتَكَ عارِيًا خَلَقًا ثِيابي ∴ عَلى خَوفٍ تُظَنَّ بيَ الظَنونُ

فَأَلفَيتُ الأَمانَةَ لَم تَخُنها ∴ كَذَلِكَ كانَ نوحٌ لا يَخونُ

وظف النابغة هذه الشخصية الدينية في معرض مدحه للنعمان بن المنذر، إشارة منه إلى صدق مدحه لعمرو بن هند الملقب بالمحرق، وأن عمرا كان صادقا في عطائه له وإكرامه إياه.

وقد أشار الجاحظ إلى أن عدم الخيانة ليس أمرا خاصا بنوح عليه السلام، فكل الأنبياء يتصفون بالأمانة على درجة واحدة؛ إذ قال معلقا على بيت النابغة هذا:" وليس لهذا الكلام وجه، وإنّما ذلك كقولهم كان داود لا يخون، وكذلك كان موسى لا يخون عليهما السلام. وهم وإن لم يكونوا في حال من الحالات أصحاب خيانة ولا تجوز عليهم، فإنّ النّاس إنّما يضربون المثل بالشيء النادر من فعل

(١٤٦) ديوان النابغة ، ص ٢٢٢ .

الرجال ومن سائر أمورهم، كما قالوا: عيسى ابن مريم روح الله، وموسى كليم الله، وإبراهيم خليل الرحمن، صلى الله عليهم وسلم"[١٤٧]. ولعل صفة الأمانة التي وصف بها نوح عليه السلام كانت شائعة عند العرب من الكتب السماوية الأخرى قبل نزول القرآن ، وقد جاء هذا الوصف في القرآن الكريم ، يقول الله تعالى : " كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ"[١٤٨] .

داود عليه السلام

قال النابغة [١٤٩]:

وكـــلُّ صَـــمُوتٍ نَثْلـــةٍ تُبَّعِيَّـــةٍ ∴ ونَسْـــجُ سُـــلَيْمٍ كُـــلَّ قَضَّـــاء ذائِـــلِ

وظف هنا شخصية داود عليه السلام من خلال مدحه للغساسنة ووصفه لدروعهم التيكانوا يستخدمونها في الحرب ، وشبهها بدروع داود عليه السلام التي كان يصنعها ، فهي دروع صموت بمعنى اللينة اللمس ، ليست بخشنة ولا صدئة ، ولا يكون لها صوت[١٥٠]، وأشار الى داود بلفظ سليم للدلالة عليه ، إذ "أرادَ ونَسْجَ داودَ، فَجعلَه سُليمان، ثمَّ غَيَّر الِاسْم فَقَالَ سُلَيم، ومثلُ ذَلِك فِي أَشعار العرَب كثير"[١٥١]. وهذه عادةٌ معروفة عند العرب في إقامة الأب مقام الابن، والابن مقام الأب، وتسمية الشيء باسم غيره إذا كان من سببه. والأعلام لا يدخلها المجاز، ولكن تستعار إذا حصل بها القصد وأمن معها اللبس عند الذكر[١٥٢]. وقد أشار القرآن الكريم إلى صنعة داود عليه السلام في سرد الدروع فقال تعالى : " وَلَقَدْ آتَيْنَا داوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ(١٠) أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ

(١٤٧) الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤ هـ، ٣٨٠/٢.
(١٤٨) الشعراء ، ١٠٥ .
(١٤٩) ديوان النابغة ، ص ١٤٦ .
(١٥٠) تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ١٢ / ١١٠ .
(١٥١) المرجع السابق ، ١٢ / ٣١٤ .
(١٥٢) انظر شرح ديوان الحماسة ، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، المحقق: غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ١ /٤٠٦ .

وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " [١٥٣]. وتبين الآية السابقة أن الله سبحانه وتعالى أمره الدروع والسابغات، وقد لين الله له الحديد بيدهمن غير نار كما يلين العجين حتى سرد منه الدروع والسوابغ وأصبحت مضربا للأمثال عبر الزمان، وإلانة الحديد من المعجزات الباهرات التي خص الله سبحانه وتعالى بها داود عليه السلام [١٥٤].

سليمان –عليه السلام–

قال النابغة[١٥٥]:

وَلا أَرى فاعِلًا في النـاسِ يُشبِهُهُ ∴ وَلا أُحاشي مِنَ الأَقوامِ مِن أَحَدِ
إِلّا سُلَيمانُ إِذ قالَ الإِلَهُ لَهُ ∴ قُم في البَرِيَّةِ فَاحدُدها عَنِ الفَنَدِ
وَخَيِّسِ الجِنَّ إِنّي قَد أَذِنتُ لَهُم ∴ يَبنونَ تَدمُرَ بِالصُفّاحِ وَالعَمَدِ
فَمَن أَطاعَكَ فَانفَعهُ بِطاعَتِهِ ∴ كَما أَطاعَكَ وَادلُلهُ عَلى الرَشَدِ

وظف النابغة شخصية النبي سليمان عليه السلام في معرض اعتذاره للنابغة ومدحه له، مشيرا إلى أن ممدوحه لا يفوقه أحد ولا يشبهه أحد في عظم ملكه وقوته إلا سليمان عليه السلام الذي كان قد سخر الله له الجن ينقادون بأمره. وهو عليه السلام أبرز شخصيتين مؤمنتين ملكتا الأرض هو وذو القرنين[١٥٦]. وخص سليمان عليه السلام ؛ لأنه أوتي الملك مع النبوة، وفي القرآن يقول الله تعالى على لسان سليمان عليه السلام : " قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ " [١٥٧].

(١٥٣) سورة سبأ ، الآية ، ١٠ ، ١١ .
(١٥٤) انظر البداية والنهاية ، ابن كثير ، ٦ / ٢٨٧ .
(١٥٥) ديوان النابغة ، ص ٢٠ ، ٢١ .
(١٥٦) المحبر ، محمد بن حبيب البغدادي ، تحقيق إيلزة ليختن شتيتر ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، د . ت ، ص ٣٩٢ .
(١٥٧) سورة ص الآية ٣٥ .

أ- ذكر بعض الألفاظ الدينية:

لفظ الجلالة(الله)

ورد في غير موضع من شعر النابغة ومن ذلك قوله:

لهـمٌ شـيمةٌ ، لم يعطهـا اللهُ غيرهـمْ ∴ مـنَ الجـودِ ، والأحـلامُ غـيرُ عَـوازِب[١٥٨]

فـإذا وُقيـتِ ، بحمـدِ اللَّـهِ ، شِـرّتَها ∴ فـانجي ، فَـزارَ ، إلى الأطـوادِ ، فـاللُّوب[١٥٩]

ألمْ تـرَ أنّ اللهَ أعطـاكَ سـورةً ∴ تـرى كـلّ مَلْـكٍ ، دونَهـا ، يتذَبـذَب[١٦٠]

ونحـنُ لديـهِ ، نسـألُ اللهَ خلـدهُ ∴ يـردّ لنـا ملكـاً ، ولـلأرضِ ، عـامرا[١٦١]

أَلِكنْـي إلى النّعمـانِ حيـثُ لَقيتَـهُ ∴ فأهْـدَى لـهُ اللَّـهُ الغُيـوثَ البَـواكِرَا [١٦٢]

وهذا إشارة إلى أن الجاهليين كانوا يعرفون الله سبحانه وتعالى غير أنهم كانوا يتخذون من الأوثان وسيلة للتقرب إلى الله، قال تعالى:" وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى"[١٦٣].فاستعمال الجاهليين لاسم الجلالة، يشير إلى أنهم كانوا ينظرون إليه نظرة المسلمين، فهو اسم علم خاص بالجلالة، ويقابل "يهوه" عند العبرانيين، ولذا جاء التعبير عنه بإله واحد، وهو اسم مفرد ليس له جمع؛ لأنه إله واحد. أما لفظة "إله" فإنها تعبر عن مفرد له جمع، هو "آلهة"، والإله في مقابل "إيلوهيم Elohim" عند العبرانيين[١٦٤].

- الإله كقوله[١٦٥]:

مَحَلَّـتُهُم ذاتُ الإلـهِ ودِينُهُمْ ∴ قَـويمٌ فَمَـا يَرجُـونَ غَـيرَ العَواقِـبِ

---

(١٥٨) ديوان النابغة ، ص ٤٦.
(١٥٩) ديوان النابغة ، ص ٥٢ .
(١٦٠) ديوان النابغة ، ص ٧٣.
(١٦١) ديوان النابغة ، ص ٦٨.
(١٦٢) ديوان النابغة، ص ٧١.
(١٦٣) سورة الزمر ، ٣ .
(١٦٤) انظر قصة الأدب في الحجاز ، عبد الله عبد الجبار ، محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر ، د . ت . ، ص ٤٩٣ .
(١٦٥) ديوان النابغة ، ص ٤٧.

والمقصود محلتهم ذات الإله هي بلاد الشام ؛ لأنها مقدسة ويقال بيت المقدس موضع الأنبياء [١٦٦]، وهذا اشارة الى قدسية مكان من يمدحهم النابغة من ملوك الغساسنة .

- الكعبة، الأنصاب، العائذات الطير ، وذلك في قوله[١٦٧]:

فَــلا لَعَمــرُ الَّــذي مَسَّــحتُ كَعبَتَــهُ ∴ وَمــا هُريــقَ عَلــى الأَنصــابِ مِــن جَسَــدِ

وَالمُــؤمِنِ العائِــذاتِ الطَــيرِ تَمسَــحُها ∴ رُكبــانُ مَكَّــةَ بَــينَ الغَيــلِ وَالسَــعَدِ

فقد ذكر الكعبة بيت الله الحرام مشيرا إلى شعيرة الحج، وما يرافقها من تقديم القرابين للآلهة التي تقربهم إلى الله بحسب اعتقادهم، وهي مجموعة من الأوثان ذكر بعض المؤرخين أن عددها بلغ ثلاثمائة وستين صنما[١٦٨]. كما أشار إلى طيور مكة الآمنة في الحرم والتي كان الجاهليون يحرمون صيدها لأنها في جوار الله. وما ذكره النابغة من المقدسات التي كان يقدسها الانسان الجاهلي في ذلك الوقت .

- صورة الراهب وذلك في قوله[١٦٩]:

لَــوْ أَنَّهــا عَرَضَــت لأَشْــمَطَ راهِــبٍ ∴ عَبَــدَ الْإِلَــهَ صَــرورَةٍ مُتَعَبِّــدِ

لَرَنــا لِرُؤْيَتِهــا وَحُسْــنِ حَــدِيثِها ∴ وَلَخالَــهُ رَشَــداً وَإِن لَــمْ يَرْشُــدِ

فقد وظف صورة الراهب للدلالة على شدة جمال من يتغزل بها حتى إنها لتغوي ذلك الرجل المنقطع إلى العبادة الذي يعيش في صومعته بين الجبال بعيدا

---

(١٦٦) المعني الكبير في أبيات المعاني، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق عبد الرحمن يحيى اليماني، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤م ، ١ / ٥٤٩ .

(١٦٧) ديوان النابغة ، ص ٢٥ .

(١٦٨) انظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م ، ٣ / ٣٢٧ .

(١٦٩) ديوان النابغة ، ص ٩٥ .

عن البشر. وقد اختار الصارور وهو الذي انقطع للعبادة ولم يتزوج النساء ، والصرورة أرفع الناس في مراتب العبادة عند الجاهليين[١٧٠].

- **يوم السباسب ، وذلك في قوله :**

رقـــاقُ النِّعـــال طيـــب حجُـــزَاتُهُم ∴ يحيـــون بالريحـــان يـــوم السَّباسِـــبِ

ويشير إلى تدين الغساسنة وذلك باعتناقهم النصرانيةفيذكر يوم السباسب وهو عيد من أعياد النصارى ويسمونه "يوم السعانين" أو "يوم الشعانين"،والكلمتان اشتقتا من العبرية من لفظة " هوشعنا "[١٧١] ، ولعل ذلك يبين شيوع النصرانية في الشام في القبائل العربية التي سكنت الشام مع الغساسنة بالإضافة الى بعض القبائل العربية الاخرى في الجزيرة العربية .

(١٧٠) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، ٨ / ٢٢٤ .
(١٧١) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، ٩ / ١٠٢ .

المبحث الخامس
التناص الثقافي

ثمة بعض الموروثات الثقافية كالعادات والتقاليد والاعتقادات ذكرها الشعراء في شعرهم، وقد تناص النابغة الذبياني مع هذا الإرث الثقافي، فضمن شعره بعضا من قيم مجتمعه واعتقاداته، وقد جاء هذا التضمين لدلالات مختلفة يكشف عنها السياق الواردة فيه. وتناص الشاعر مع الموروث الثقافي يدلل على عمق بصيرة الشاعر ، وإلمامه بثقافة عصره وتعبيره عن الوعي الجمعي، وهذه السياقات الثقافية يحملها الشاعر للأجيال القادمة بوعي أو بغير وعي؛ ليعمّق بها المعاني التي يعالجها والأفكار التي يقدمها في شعره.

ومن الموروثات الثقافية التي وردت في شعر النابغة:

- التطير من الغراب يقول النابغة[١٧٢]:

أَفِـــدَ التَّرَحّـــلُ ، غـــير أنّ ركابنـــا ∴ لمـــا تـــزلْ برحالنـــا ، وكـــأنْ قـــدِ

زَعَـــمَ البَـــوارِحُ أنّ رِحْلَتَنـــا غَـــداً ∴ وبـــذاكَ خبرنـــا الغـــدافُ الأســـودُ

فقد أشار إلى خبر ارتحاله من بلاط النعمان، ونسب حمل هذا الخبر المشؤوم إلى الغراب؛ لأن الغراب في الموروث الثقافي الجمعي رمز للتشاؤم والموت وخراب الديار، بل أشأم الطيور عند الجاهليين ، ولعل ذلك يعود إلى ارتباطه بقصة ابني آدم وردت في الكتب السماوية الماضية وأكدها القرآن الكريم في حديثه عن قتل ابن آدم لأخيه. وسمي غراب البين لأنهيحتم بالفراق إذا نعب ، وقد اشتقوا من اسمه لفظ الغربة والاغتراب والغريب[١٧٣].

أما البوارح من الطير فهي التي تمر من اليسار الى اليمين وهذا دليل الشؤم عند العرب ، وضده السانح الذي يمر من اليمين الى اليسار وهو دليل اليمن والتفاؤل عند العرب[١٧٤].

---

(١٧٢) ديوان النابغة ، ص ٨٩.
(١٧٣) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، ١٢ / ٣٦٨ .
(١٧٤) انظر تاريخ العرب القديم ، توفيق برو ، دار الفكر ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ص ٢٨٦ .

- تعليق الحلي على الملدوغ حيث يقول[١٧٥]:

فبــــتُّ كــــأني ســــاورتني ضــــيئلةٌ ∴ مــــن الــــرُّقْشِ ، في أنيابِهــــا السُّــــمُّ نــــاقِعُ

يُسَــهَّدُ ، مــن لَيــلِ التّمــامِ ، سَــليمُها ∴ لحلــــيِ النســــاءِ ، في يديــــهِ ، قعــــاقعُ

تناذرَهــــا الرّاقُــــون مِــــنْ سُــــمّها ∴ تُطلّقُــــهُ طَــــورا ، وطَــــوراً تُراجِــــعُ

فقد رسم لنا صورة مفزعة ليدلل على شدة خوفه من النعمان لما جاءه وعيده، فصور نفسه بملدوغ من قبل أفعى شديدة السم حتى إنه لا يعرف النوم ولا الاطمئنان، فيضع أهله حلي النساء عليه اعتقادا منهم أنها تدفع الأذى عنه، واللديغ هنا هو المعادل الموضوعي للنابغة الذبياني الذي أقضّ مضجعه وعيد الملك له.

- كي الجمل السليم ليبرأ الاجرب ، يقول [١٧٦]

لَكَلَّفــــتَني ذَنــــبَ اِمــــرِئٍ وَتَرَكتَــــهُ ∴ كَــذي العُــرِّ يُكــوى غَــيرُهُ وَهــوَ راتِــعُ

زعم العرب أن الابل إذا أصابها العر ، وأخذوا السليم وكووه ، زال العر عن السقيم[١٧٧]، وأنهم يفعلون ذلك ويقولون نؤمن معه العدوى[١٧٨]. وهو اعتقاد ليس له ما يبرره

كانت العرب تكوي البعير السليم فيجأر ويرغو بصوت عظيم، فترتاع الإبل الجرباء من هذا المشهد اعتقادا منهم أن شعورها بالخوف يؤدي إلى الشفاف.

- ضرب القداح يقول [١٧٩]

كَتَمْتُــكَ لَيْلًــا بــالجَمُومَينِ ســاهِراً ∴ وهمَّــيْن: هَمّــاً مُسْــتَكِنّاً، وَظَــاهِرًا

ونحــنُ نُرَجّــي الخلُــدَ إن فــازَ قِــدحُنا ∴ ونرهــبُ قــدحَ المــوتِ إن جــاء قــامرا

---

(١٧٥) ديوان النابغة ، ص ٣٣ ، ٣٤.
(١٧٦) ديوان النابغة ، ص ٣٣ ، ٣٤ .
(١٧٧) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، ص ٧٨٥ .
(١٧٨) انظر نثر الدر في المحاضرات ، منصور بن الحسين الرازي ، تحقيق ، خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ٦ / ٢٢٤ .
(١٧٩) ديوان النابغة ، ص ٦٧.

ومن عادات الجاهلية أنهم يضربون بالقداح فيما أشكل عليهم من الأمور، وطريقة الضرب بالقداح، ان الرجل منهم اذا أراد ان يخرج مسافراً، كتب في قدح هذا يأمرني بالمكث، وهذا يأمرني بالخروج،وجعل معهما أزلاماً مسحة،أي لم يكتب فيها شيئاً، ثم استقسم بها حين يريد الخروج، فإن خرج الذي يأمر بالمكث، مكث، وإن خرج الذي يأمر بالخروج خرج، وإن خرج الآخر أي المسح، أجالها ثانية حتى يخرج أحد القدحين. وهكذا يفعلون في سائر أمورهم(١٨٠). يقرر النابغة هنا أن المرء يحلم بالنجاة فيتمنى أن يفوز قدحه وأن لا يكون القدح الخارج قدح الشؤم.

- **الاستسقاء للقبور يقول (١٨١):**

سَقى الغَيثُ قَبرًا بَينَ بُصرى وَجاسِمٍ ∴ بِغَيثٍ مِنَ الوَسمِيِّ قَطرٌ وَوابِلُ

وَلا زالَ رَيحانٌ وَمِسكٌ وَعَنبَرٌ ∴ عَلى مُنتَهاهُ ديمَةٌ ثُمَّ هاطِلُ

وَيُنبِتُ حَوذانًا وَعَوفًا مُنَوِّرًا ∴ سَأُتبِعُهُ مِن خَيرِ ما قالَ قائِلُ

بَكَى حارِثُ الجَوْلانِ مِن فَقْدِ رَبِّهِ ∴ وحَوْرانُ مِنه خاشِعٌ مُتَضائِلُ

قعُودا لَه غَسّانُ يَرجونَ أوْبَهُ ∴ وتُرْكٌ ، ورهطُ الأعجَمينَ وكابُلُ

فالنابغة يشير إلى عادة السقيا وهي الدعاء بأن ينزل المطر على قبر الميت، وكانت العرب تدعو للقبور بالسقيا؛ ليكثر الخصب حولها، فيقصد كل من مر بها دعاء لها بالرحمة(١٨٢) أما المرزوقي فيقول: " والقصد من طلب السقيا لها أن تبقى عهودها غضة من الدروس، طرية لا يتسلط عليها ما يزيل جدتها ونظارتها"(١٨٣).

- **ندب الميت بقولهم (لا تبعد)**

---

(١٨٠) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، ١٢/ ص ٣٥٣ . وانظر جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ٩ / ٥١٤ .

(١٨١) ديوان النابغة ، ص ١٢١ .

(١٨٢) في تاريخ الأدب الجاهلي ، علي الجندي ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٩٩١م ، ص ٤٠٢. وأديان العرب في الجاهلية، محمد نعمان الجارم ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٢٢ .

(١٨٣) شرح ديوان الحماسة ، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، ٧٣٨ .

يقول النابغة في رثاء النعمان بن المنذر(١٨٤):

فـــلا تَبْعـــدَنْ إن المنيَّـــةَ موعِـــدٌ ∴ وكـــلُّ امـــرئ يومـــاً بـــه الحـــالُ زائـــل

وهي من عادات العرب في ندب الميت ؛ إذ يقولون له عند وضعه في القبر (لا تبعد) أي: لا تهلك، وذلك لشدة حاجتهم إليه، وقلة الاستغناء عنه (١٨٥)، وهو دعاء خرج بصيغة النهي ، وقد ورد في اشعار الرثاء بشكل كبير، واستخدم حسان هذا الأسلوب في رثاء الرسول ﷺ، وذلك بقوله (١٨٦):

جَزَعـــاً عَلَـــى الْمَهـــدِيِّ أَصْـــبَح ثاويـــاً ∴ يَـــا خـــيرَ مَـــنْ وَطِـــئ الثَّـــرى لَـــا تَبْعَـــدِ

(١٨٤) ديوان النابغة ، ص ١٢٠ .
(١٨٥) انظر شرح ديوان الحماسة ، المرزوقي ، ص ١٤٢ .
(١٨٦) ديوان حسان بن ثابت ، ص ٦٥ .

المبحث السادس
التناص الأسلوبي

- **بناء القصيدة:**

سار النابغة في بناء قصائده على نهج من سبقه من الشعراء، فجاءت قصائده مبنية على العناصر الرئيسة الثلاثة التي تشكلت منها بنية القصيدة العربية، وهي المقدمة الطللية، والرحلة إلى الممدوح، ثم الغرض الرئيس وهو المديح، غير أن النابغة مزج المديح بالاعتذار، وربما لا نجد هذا المزج عند غيره من الشعراء الذين سبقوه.

ويعد امرؤ القيس النموذج المثال الذي احتذى حذوه الشعراء من بعده ومنهم النابغة الذبياني.

- **الصور الشعرية:**

١- **صورة الليل:**

وصف النابغة الذبياني الليل في بعض قصائده، ففي بائيته المشهورة يبدأ بوصف الليل مبينا شدة وطء هذا الليل على نفسه، فهو ليل المعاناة، لما يعانيه من خوف شديد من وعيد النعمان له، فيستهلها بقوله(١٨٧):

كِلِيني لِهَمٍّ يا أُمَيمَةَ ناصِبِ ∴ وَلَيلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكَواكِبِ

تَطاوَلَ حَتّى قُلتُ لَيسَ بِمُنقَضٍ ∴ وَلَيسَ الَّذي يَرعى النُجومَ بِآيبِ

وَصَدرٍ أَراحَ اللَيلُ عازِبُ هَمِّهِ ∴ تَضاعَفَ فيهِ الحُزنُ مِن كُلِّ جانِبِ

ويلحظ أنه تناص في هذه الصورة مع امرئ القيس في قوله(١٨٨):

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ ∴ عليّ بأنواع الهُمُومِ ليبتَلي

فقلت له لما تمطَّى بصُلبه ∴ وأردَفَ أعجازاً ونَاءَ بكَلكَلِ

ألا أيّها اللّيلُ الطويلُ ألا انْجَلِي ∴ بِصُبْحٍ وما الإصْباحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

---

(١٨٧) ديوان النابغة ، ص٤٠ ، ٤١ .

(١٨٨) ديوان امرئ القيس ، حققه وبوبه حنا الفاخوري ، دار ، الجيل بيروت ، د . ت ، ص٤٢، ٤٣ .

فَيـــا لَـــكَ مِـــنْ لَيْـــلٍ كَـــأَنَّ نُجُومَـــهُ ∴ بِكُـــلِّ مُغَـــارِ الفَتْـــلِ شُـــدّتْ بِيَـــذْبُلِ
كـــأنّ الثُّرَيّـــا عُلّقَـــتْ فِي مَصـــابِها ∴ بِـــأمراسِ كَتّـــانٍ إلى صُـــمّ جَنْـــدَلِ

فكلتا الصورتين تعبران عن مدى ما وصل إليه كلا الشاعرين من هم وحزن، حتى بات هذا الليل وكأنه لا ينقضي، فالبعد النفسي في كلتا الصورتين يكاد يكون واحدا، كما أن الزمن في الصورتين هو زمن نفسي.

وتتجلى صورة الخوف والرهبة التي تسيطر على نفسية الشاعر في صورة مشابهة لهذه الصورة ، وذلك في اعتذاريته للنابغة التي يقول فيها(١٨٩):

فَإِنَّـــكَ كَاللَّيْـــلِ الَّـــذِي هُـــوَ مُـــدْرِكِي ∴ وَإِنْ خِلْـــتُ أَنَّ الْمُنْتَـــأَى عَنْـــكَ وَاسِـــعُ
خَطـــاطِيفُ حُجْـــنٌ فِي حبـــالٍ متينـــةٍ ∴ تُمـــدُّ بهـــا أيـــدٍ إليـــكَ نـــوازِعُ

فقد عبرت هذه الصورة عن عمق مأساة الشاعر وخوفه من المجهول الذي ينتظره، ففيها بيان لقدرة الممدوح-النعمان- في الوصول إلى الشاعر أينما حل وأينما ارتحل.

٢- صورة الناقة:

رسم النابغة صورة لناقته تقاطع بها مع صورة الناقة عند طرفة بن العبد، وقد جلى في هذه الصورة كل معاني القوة والصبر الذي تتمتع به هذه الناقة من قدرة على قطع الفيافي والقفار بما فيها من حر ومخاطر، وهي قادرة على النجاء بصاحبها في تلك الصحراء التي يكتنفها كثير من المخاوف والغموض، فتوصله إلى الممدوح.وقد تكررت هذه الصورة بألفاظ مختلفة غير أن المعاني التي شير إليها تكاد تكون واحدة.

ومن أمثلة هذه الصورة قوله(١٩٠):

فَعَـــدِّ عَمَّـــا تَـــرَى إِذْ لَـــا ارْتِجَـــاع لَـــهُ ∴ وَانْـــمِ القُتُـــودَ عَلَـــى عَيْرَانَـــةٍ أُجُـــدِ
مَقْذُوفَـــةٌ بِـــدَخِيسِ الـــنَّحْضِ بَازِلُهَـــا ∴ لَـــهُ صَـــرِيفٌ صَـــرِيفَ الْقَعْـــوِ بِالْمَسَـــدِ

(١٨٩) ديوان النابغة ، ص ٣٨ .
(١٩٠) ديوان النابغة ، ص١٦ وما بعدها.

كـــأَنّ رَحْلـــي، وَقَـــدْ زَالَ النَّهـــارُ بِنَـــا ∴ يَـــوْمَ الحُلَيْـــلِ، عَلَـــى مُسْـــتَأْنِسٍ وَحِـــدِ
مِـــن وَحـــشِ وَجـــرَةَ مَوشِـــيٍّ أَكارِعُـــهُ ∴ طـــاوِي المُصَـــيرِ كَسَـــيفِ الصَـــيقَلِ الفَـــرَدِ

فهي صورة تمثلت بها كل معاني القوة؛ إذ شبهها بالعير لقوتها وصلابتها، ثم استطرد ليرسم صورة أخرى لناقته وهيصورة الثور الوحشي القوي من ثيران وجرة التي يضرب بها المثل في قوة ثيرانها، وقد تجلت قوة هذا الثور في نجاته من كلاب الصيد التي كانت تطارده.

وهي صورة انتصر فيها الثور الوحشي على كلاب الصيد، وتمثل من جانب آخر انتصار الخير على الشر.

وقد تقاطعت هذه الصورة مع صورة ناقة طرفه التي يقول فيها(١٩١):

وَإنـــيّ لأُمضِـــي الهَـــمّ عِنْـــدَ احْتِضـــارِهِ ∴ بِهَوجَـــاءَ مِرقـــالٍ تَـــرُوحُ وَتَغْتَـــدِي
أَمُـــونٍ كـــأَلواحِ الإِرَانِ نَسَـــأْتُها ∴ علـــى لاحِـــبٍ، كَأَنَّـــهُ ظَهْـــرُ بُرْجُـــدِ
جَمالِيَّـــةٍ، وَجَنـــاءَ تَـــردي كَأَنَّهـــا ∴ سَـــفَنَّجَةٌ تَـــبري لأَزْعَـــرَ أَرْبَـــدِ
تُبـــاري عِتاقـــاً ناجِيـــاتٍ، وَأَتبَعَـــتْ ∴ وظيفـــاً وَظيفـــاً فَـــوقَ مَـــوْرٍ مُعَبَّـــدِ

ففي كلتا الصورتين إضفاء لجانب القوة على الناقة.

٣- صورة المطر:

رسم النابغة صورة للمطر جمع فيها كثيرا من عناصر لوحة المطر كالبرق والريح والماء في قوله(١٩٢):

أَصَـــاحِ تَـــرَى بَرْقـــاً أُرِيْـــكَ وَميضَـــهُ ∴ يُضِـــيءُ سَـــنَاهُ عَـــنْ رُكَـــامٍ مُنَضَّـــدِ
أَجَـــشّ سِـــمَا كِيَّـــاً كـــأَنَّ رَبَابَـــهُ ∴ أَرَاعِيـــلُ شَـــتَّى مِـــنْ قَلائِـــصَ أُبَّـــدِ
تُكَرْكِـــرُهُ ريـــحٌ يَجُـــورُ بِصَـــوْتِهَا ∴ وتَعْدِلُـــهُ أُخْـــرى شَـــمالٌ فَيَهْتَـــدِي
سَقَى دارَ سُعْدَى حَيْثُ حَلَّتْ بِهَا النَّوَى ∴ فَـــأَفْعَمَ مَنْهَـــا كـــلَّ رَبْـــعٍ وَفَدْفَـــدِ

---

(١٩١) ديوان طرفة بن العبد ، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيـروت ، ط٢ ، ٢٠٠٦م ، ص ٢٧ .
(١٩٢) ديوان النابغة الذبياني ص ٢١٢ .

ويلحظ أنه تناص في هذه اللوحة مع لوحة المطر عند امرئ القيس، وذلك في قوله(١٩٣):

صـــاح تَـــرى بَرقًـــا أُريـــكَ وَميضَـــهُ ∴ كَلَمَـــعِ اليَـــدَينِ في حَبِـــيٍّ مُكَلَّـــلِ
يُضـــيءُ سَـــناهُ أَو مَصـــابيحَ راهِـــبٍ ∴ أَهـــانَ السَـــليطَ في الـــذُبالِ المُفَتَّـــلِ
قَعَـــدتُ لَـــهُ وَصُـــحبَتي بَـــينَ حـــامِرٍ ∴ وَبَـــينَ إِكـــامِ بُعـــدَ مـــا مُتَأَمَّـــلِ
وَأَضـــحى يَسُـــحُّ المـــاءُ عَنكُـــلِّ فَيقَـــةٍ ∴ يَكُـــبُّ عَلـــى الأَذقـــانِ دَوحَ الكَنَهبَـــلِ

فقد اقتفى النابغة أثر امرئ القيس في تصوير ما تركه البرق وما كان يصحبه من مطر مبينا أثر هذا المطر على الأرض والزرع، داعيا بالسقيا لديار محبوبته.

٤- **صورة الفرس:**

تحتل الفرس مكانة عظيمة في حياة الإنسان الجاهلي ، فهي مطيته في الحرب التي كانت لازمة من لوازم الحياة الجاهلية، فقد تغنى بفرسه وأضفى عليها كثيرا من الصفات المحببة كالسرعة والجلد في الحرب وقدرتها على الكر والفر وغير ذلك من الصفات الكريمة.

ونجد أن النابغة قد وصف الفرس في غير موطن من ديوانه، لكنه لم يخرج على الأوصاف النمطية للفرس التي جاء بها من سبقه من الشعراء.

يقول في إحدى قصائده واصفا سرعة الفرس(١٩٤):

وَالخَيـلَ تَمـزَعُ غَربًـا في أَعِنَّتِهـا كَـالطَيرِ ∴ تَنجـــو مِـــنَ الشُـــؤبوبِ ذي البَـــرَدِ

وهو في هذا البيت يتناص مع امرئ القيس في قوله(١٩٥):

لَـــهُ أَيْطَـــلا ظَبْـــيٍ وَســـاقَا نَعَامَـــةٍ ∴ وإِرْخَـــاءُ سِـــرْحانٍ وتَقْرِيـــبُ تَتْفُـــلِ

فامرؤ القيس يصور فرسه في سرعتها بالذئب، على حين صور النابغة سرعة فرسه بسرعة الطير التي أصابها مطر فتحاول النجاء للخلاص منه، ففي كلا البيتين يصف الشاعر سرعة عدو الفرس.

---

(١٩٣) ديوان امرئ القيس ، ص ٥١ ، ٥٢ .
(١٩٤) ديوان النابغة ، ص ٢٣.
(١٩٥) ديوان امرئ القيس ، ص ٤٨ .

٥- صورة المرأة:

خلع النابغة الذبياني على المرأة كثيرا من الصفات الموروثة من معجم الشعر العربي، منها تشبيه ريقها بالخمر، كقوله(١٩٦):

تَسْقِي الضَّجيعَ، إذا اسْتَسْقى، بذي أَشرٍ ∴ عَذْبِ المَذاقةِ، بَعْدَ النَّومِ، مِخْمَارِ

وهذه الصورة متوارثة في الشعر العربي إذ وردت عند من سبقه من الشعراء، وتناص بها مع عبيد بن الأبرص في قوله(١٩٧):

إذا ذقتُ فاها قلتُ طعمَ مدامةٍ ∴ مشعشعةٍ ترخي الإزارَ قديحُ

بماءِ سحابٍ من أباريقِ فضَّةٍ ∴ لها ثمنٌ في البائعينَ ربيحُ

فريقها يشبه الخمر الممزوجة بماء المطر والمصفاة في أباريق من فضة، بما يتركه من لذة في نفس ذائقه. ويشبه بياض محبوبته ولمعانها بالسراج المضيء في قوله(١٩٨):

والنظمُ في سلكٍ يزينُ نحرها ∴ ذهبٌ توقَّدُ ، كالشّهابِ المُوقَدِ

فهو يتناص مع قول امرئ القيس(١٩٩):

يُضِيءُ الْفِراشَ وَجْهُهَا لِضَجِيعِهَا ∴ كَمِصْباحِ زَيْتٍ فِي قَنادِيلِ ذُبَّالِ

فكلاهما يشبه وجه محبوبته في لمعانها وبياضه بالمصباح الذي يصب فيه الزيت باستمرار فيبقى متألقا لامعا كأنه كوكب دري. وأما ثغر محبوبته فيشبه الأقحوان في رائحته الطيبة كما في قوله(٢٠٠):

تَجْلُو بقَادِمَتَيْ حَمَامِةَ أيكَةٍ ∴ بَرَداً أُسِفَّ لِثَاتُهُ بالإثْمِدِ

كالأُقْحُوانِ غَدَاةَ غِبِّ سَمَائهِ ∴ جَفَّتْ أعَاليهِ وأسْفَلُهُ نَدِي

---

(١٩٦) ديوان النابغة ، ص ٢٠٢.

(١٩٧) ديوان عبيد بن الأبرص، شرح أشرف أحمد عدره، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص ٣٩ .

(١٩٨) ديوان النابغة ، ص ٩١.

(١٩٩) ديوان امرئ القيس ، ص ٥٨ .

(٢٠٠) ديوان النابغة ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

وقد تناص في هذا المعنى مع امرئ القيس وذلك في قوله(٢٠١):

وَلَهَـــا ثَغْـــرٌ نَقِـــيٌّ لَوْنُهُـــكَ ∴ الأَقَـــاحِيِّ يُـــرَى فِيـــهِ شَـــنَبْ

وقد شبه المرأة بالدرة تارة وبالدمية تارة أخرى في قوله(٢٠٢):

أَو دُرَّة صَـــــــدَفِيَّة غَوَّاصُـــــــها ∴ بَهِـــجٌ، متـــى يَـــره يُهِـــلَّ ويَسْـــجُدِ

أو دميـــةٍ مـــن مرمـــرٍ مرفوعـــةٍ ∴ بنيـــتْ بـــآجرٍ تشـــادُ وقرمـــد

أما البيت الاول فقد تناص به مع المسيب بن علس في قوله(٢٠٣):

كَجُمَانَـــةِ الْبَحْـــرِيِّ جَـــاءَ بِهَـــا ∴ غَوَّاصُـــهَا مِـــنْ لُجَّـــةِ الْبَحْـــرِ

وتناص في البيت الثاني مع امرئ القيس(٢٠٤):

كـــأن دمـــى ســـقفٍ علـــى ظهـــر مرمـــرٍ ∴ كســـا مزبـــد الســـاجوم وشـــياً مصـــوراً

---

(٢٠١) ديوان امرئ القيس ، ص ١١٢ .
(٢٠٢) ديوان النابغة ، ص ٩٢ ، ٩٣ .
(٢٠٣) ديوان المسيب بن علس (ملحق بديوان الأعشى)، نشـره رودلـف جييـر، ١٩٢٧م ، ص٣٥٢ .
(٢٠٤) ديوان امرئ القيس ، ص ٣٣٣ .

الخاتمة

تناول هذا البحث التناص في شعر النابغة الذبياني، واهتم بالكشف عما تناص به النابغة من مرجعيات مختلفة؛ إذ تنوعت مرجعيات التناص في شعره بين مصادر أدبية وأخرى أسطورية وثالثة تاريخية فضلا عن المصادر الدينية والشعبية والأسلوبية.

واستطاع النابغة من خلال التناص أن يرتقي بالنص الشعري إلى أعلى المستويات، وذلك لانفتاح نصه على مدارات إيحائية جديدة زاخرة بالمعاني، فعبر بعمق عن موضوعاته التي طرحها في شعره وبث من خلالها رؤيته الشعرية تجاه تلك الموضوعات المختلفة مبرزا من خلالها موقفه من الحياة ونظرته إلى الكون والإنسان، وانتهت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- جاء التناص الأدبي في شعر النابغة في الأمثال والحكم؛ إذ استطاع أن يوظف المثل والحكمة ليعبر عن فلسفته الشعرية في الموضوعات المطروحة، باعتبار أن المثل زاخر بالرمز والإيحاء. وكانت طريقته في ذلك إيراد المثل أو الحكمة ويترك للمتلقي فهم تلك القصة المتعلقة بالمثل أو التجربة المتصلة بالحكمة.
- جاءت الأسطورة لتعبر عن انفتاح النص عند النابغة على موروثات أسطورية يمكن للمتلقي فهمها بفهمه للأسطورة المذكورة. وقد عمد إلى توظيف جوانب بارزة منها استوفى من خلالها الصورة التي رسمها في شعره.
- عبر التناص التاريخي في شعره عن مجموعة من الشخصيات والأحداث التاريخية التي كان لها أثر في مجتمع النابغة وحياته الخاصة. فقد ورد في شعره النعمان بن المنذر وقصته معه كما ورد ذكر لكثير من ملوك الغساسنة، كالحارث بن أبي شمر الغساني وغيره. إضافة إلى ذكره أياما مشهورة من أيام العرب وإبراز الأحداث التي جرت فيها، كأيام حليمة والنسار والجفار وغيرها. ذكر أيضا أماكن تاريخية ومدن كان قد زارها ولها تأثير في حياته، كجلق وصيداء وبصرة وبيت رأس وغيرها.

- أما التناص الديني فقد جاء ليعبر عن ثقافته الدينية الواسعة ومعرفته بآيدلوجيات الأمم السابقة، وساعده ذلك على انفتاح قصائده على عوالم غنية بالدلالات والإيحاءات الخصبة، مما جعل نصوصه الشعرية ذات سلطة تأثيرية على المتلقي بما تحمله من معان دينية جديدة. وقد وظف شخصيات دينية من الأنبياء والرسل، مثل نوح عليه السلام وداود وسليمان عليهما السلام، وكان يشير إلى هذه الشخصيات في حادثة ما لإبراز معنى خاص يريده أو يريد أن يعبر من خلاله عن فلسفته في الموضوعات المطروحة. يضاف إلى ذلك توظيفه لكثير من الألفاظ الدينية مثل لفظ الجلالة الله أو الإله أو الكعبة أو الراهب، كما أشار إلى بعض الأعياد والمناسبات الدينية كيوم السباسب وهو عيد الشعانين عند المسيحية.
- وأما التناص الثقافي أو الشعبي فقد وظف النابغة الكثير من الموروثات الشعبية الثقافية والمعتقدات السائدة في المجتمع العربي آنذاك، وكان يهدف من توظيفه لها إلى تعميق تجربته الشعرية. ومنها التطير من الغراب، والسقيا للقبر ، وكي الجمل السليم كي يبرأ الأجرب وغيرها.
- وجاء التناص الأسلوبي ليعبر عن تأثر النابغة الذبياني بمن سبقه من الشعراء ولا سيما امرؤ القيس الذي يعد رائدا في رسم كثير من معالم القصيدة العربية والتي حذا حذوه الشعراء في استعمالها.فقد تناص النابغة مع الذين سبقوه في رسم صور مختلفة كصورة الليل وصورة الناقة وصورة المطر وصورة الفرس وصورة المرأة، وهذا يدل على ثقافة النابغة واطلاعه على الموروث الشعري عند الشعراء السابقين.
- إن النابغة من خلال توظيفه للتناص نجده قد كان مثقفا بألوان مختلفة من الثقافات، فتنوعت مصادره الثقافية والمعرفية والتي برزت من خلال دراسة التناص في شعره.
- وهذه الثقافة أغنت قصائده بالدلالات والإيحاءات المختلفة وأسهمت في رفع مستوى قصائده إلى مصاف الشعراء المتميزين فقد جاءت نصوصه خليطا من ثقافات مختلفة.

- **ويلحظ أن النابغة قد مزج في بعض قصائده بين أنواع متعددة من التناص؛ وهذا يدل على قدرته الشعرية وثقافته الواسعة بالمرجعيات المختلفة، وقد اتضح ذلك من خلال قصيدته:**
- **يا دار مية بالعلياء فالسند**
- **إذ مزج فيها بين التناص الديني والأدبي والتاريخي والأسطوري والثقافي فضلا عن التناص الأسلوبي الذي ساير به من سبقه من الشعراء.**
- **ويبقى التناص في شعر النابغة بحاجة إلى دراسة معمقة في بحث مطول يكشف عن كل جوانب التناص التي تطرق إليها الشاعر والعملية الإبداعية التي تمت من خلال هذه التناصات المختلفة، والتي جعلت النابغة يحتل الطبقة الاولى في تصنيف ابن سلام الجمحي للشعراء.**

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١- أديان العرب في الجاهلية، محمد نعمان الجارم ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦ .

٢- الأغاني، علي بن الحسين أبو الفرج الأصبهاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ .

٣- الأمالي، أبوعلي القالي، عني بترتيبها محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٢٦م .

٤- الأمثال ، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ) ،تحقيق ،الدكتور عبد المجيد قطامش ، دار المأمون للتراثالأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٥- الأمثال ، زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الهاشمي (المتوفى: بعد ٤٠٠هـ) ،دار سعد الدين، دمشق ، ط١، ١٤٢٣ هـ .

٦- تاريخ الأدب العربي _ العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، دار المعرف ، القاهرة ، د . ت .

٧- تاريخ العرب القديم ، توفيق برو ، دار الفكر ، ط١ ، ٢٠٠١م .

٨- تحسين القبيح وتقبيح الحسن،: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبومنصور الثعالبي، تحقيق: نبيل عبد الرحمن حياوي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان، د ..ت .

٩- تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٨٦م .

١٠- تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، عبدالله الغذّامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٧م .

١١- التمثيل والمحاضرة ، أبو منصور الثعالبي ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، الدار العربية للكتاب ، ط٢ ، ١٩٨١م

١٢- التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجًا، سعيد سلاّم، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠م .
١٣- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م .
١٤- جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
١٥- جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ،دار الفكر ، بيروت ، د. ت .
١٦- الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ .
١٧- خزانة الأدب ولب لباب العرب ، عمر بن عبد القادر البغدادي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٧م .
١٨- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، زينب بنت علي العاملي ، المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر ، ط١ ، ١٣١٢هـ .
١٩- ديوان الأفوه الأودي ، شرح وتحقيق د . محمد التونجي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٨م .
٢٠- ديوان امرئ القيس ، حققه وبوبه حنا الفاخوري ، دار ، الجيل بيروت ، د . ت .
٢١- ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٩م .
٢٢- ديوان بشر بن أبي خازم ، الأسدي ، قدم له وشرحه مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م .
٢٣- ديوان حاتم الطائي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٠م .
٢٤- ديوان حسان بن ثابت ، شرحه وقدم هوامشه الأستاذ عبد أ . مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٤م .

٢٥- ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرحه وقدم له الأستاذ علي حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨م .
٢٦- ديوان طرفة بن العبد، اعتنى به عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٦م .
٢٧- ديوان عبيد بن الأبرص، شرح أشرف أحمد عدره، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م .
٢٨- ديوان عدي بن زيد العبادي، جمعه وحققه محمد عبدالجبار المعيبد، وزارة الثقافة والإرشاد، دار الجمهورية للنشر والطباعة، بغداد، ١٩٦٥م.
٢٩- ديوان عنترة بن شداد ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٠م .
٣٠- ديوان المسيب بن علس ،
٣١- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، القاهرة ، ط٢ ، د . ت .
٣٢- ديوان النمر بن تولب العكلي ، جمع وشرح وتحقيق، د. محمد نبيل الطريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م .
٣٣- الرسائل السياسية، عمرو بن بحر، أبو عثمان، الجاحظ،: دار ومكتبة الهلال، بيروت ،د ،ت .
٣٤- السرقات الأدبية:دراسة في ابتكار الأعمال الادبية وتقليدها، بدوي طبانة، دار الثقافة ،بيروت، ط٣، ١٩٧٤م .
٣٥- شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، موهوب بن أحمد الجواليقي، قدم له مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت ، د . ت .
٣٦- شرح ديوان الحماسة، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، المحقق: غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م .
٣٧- الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ،تحقيق: د إلهام عبد الوهاب المفتي،الكويت،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

٣٨- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د ، ت .
٣٩- طروس الأدب على الأدب، ضمن كتاب: آفاق تناصية، المفهوم والتطور، جيرار جينيت ، ترجمة: محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م .
٤٠- ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكونية، محمد بنيس، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.
٤١- علم النص، جوليا كرستيفا ، ترجمة فريد الزاهي ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٩٧م .
٤٢- العمدة في محاسن الشعر وآدابه أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م .
٤٣- العقد الفريد ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ت (٣٢٨هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ .
٤٤- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد البكري، تحقيق:د. إحسان عباس و د.عبدالمجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣،١٩٨٣ .
٤٥- في تاريخ الأدب الجاهلي ، علي الجندي ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٩٩١م .
٤٦- قصة الأدب في الحجاز ، عبد الله عبد الجبار ، محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر ، د . ت .
٤٧- وانظر الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري، تحقيق عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .
٤٨- لسان العرب، محمد بن مكرم أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ .
٤٩- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة،بيروت د.ت .

٥٠- مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام ، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
٥١- المحبر، محمد بن حبيب البغدادي، تحقيق إيلزة ليختن شتيتر، دار الأفاق الجديدة، بيروت ، د . ت .
٥٢- المستطرف من كل فن مستظرف، محمد بن أحمد الأبشيهي، عالم الكتب، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ .
٥٣- معجم البلدان، شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م .
٥٤- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع،أبوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد البكري الأندلسي، عالم الكتب، بيروت،ط٣، ١٤٠٣هـ.
٥٥- المستقصى في أمثال العرب، أبوالقاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت،ط٢، ١٩٨٧م .
٥٦- المعني الكبير في أبيات المعاني ، ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق عبد الرحمن يحيى اليماني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤م .
٥٧- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار الساقي، ط١، ٢٠٠١م .
٥٨- المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي،تحقيق : أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦، د.ت .
٥٩- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م .
٦٠- نثر الدر في المحاضرات ، منصور بن الحسين الرازي ، تحقيق ، خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
٦١- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق : نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان الأردن، د . ت .

٦٢- نهاية الأرب في فنون الأدب ، أحمد بن عبد الوهاب النويري ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

أولا : الدوريات

١- تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السيميائيات، يوسف أحمد، مجلة نزوى، البحرين،العدد١٢،عام١٩٩٧

٢- التناص وإشاريات العمل الأدبي، صبري حافظ، مجلة عيون المقالات، المغرب، ع٢، ١٩٨٦ م .

٣- حسن الأخذ والتناص بين القديم والحديث، دراسة تطبيقية عن أشكال التفاعلات النصية في رواية شجيرة حناء وقمر، و عبد الله آيت الأعشير، مجلة عالم الفكر، العدد ٣ ، المجلد ٣١، يناير- مارس، ٢٠٠٣م .